الباب السادس

بدايات المدنية فيما قبل التاريخ

الفصل الأول

ثقافة العصر الحجرى القديم

الغاية من دراسة ما قبل التاريخ — فتنة الدراسة الأثرية

إننا فى حديثنا السابق ، لم نلتزم الدقّة فى الحديث ، فهذه الثقافات البدائية التى عرضناها كوسيلة لدراسة عناصر المدنيّة ، لم تكن بالضرورة الأصول التى تفرعت عنها مدنيّتنا ؛ فليس ما يمنع أن تكون بقايا متحلّلة لثقافات أعلى تدهورت حين تحركت زعامة البشر فى إثر الثلوج التى تنزاح عن صدر الأرض ، فانتقلت من المداريْن إلى المنطقة الشمالية المعتدلة ، ولقد حاولنا أن نفهم كيف تنشأ المدنيّة بصفة عامة وكيف يتم تشكيلها ، ولا يزال أمامنا أن نتعقب أصول مدنيتنا الخاصة فيما قبل التاريخ(*) ، ونحب الآن أن نبحث بحثاً موجزاً — لأن مجال هذا البحث لا يمس أغراضنا إلا من هوامشها — فنتعقب الخطوات التى خطاها الإنسان قبل التاريخ ، ليمهد السبيل إلى المدنيّة التى عرفها التاريخ ؛ كيف أصبح إنسان الغابة أو إنسان الكهف هو المعمارىّ المصرى ، أو الفلكى البابلى ، أو النبى العبرى أو الحاكم الفارسىّ ، أو الشاعر اليونانى ،

(*) سنستعمل هذه العبارة « فيما قبل التاريخ » لندلّ بها على كل العصور السابقة المدوّنات التاريخية .

أو المهندس الرومانى ، أو القديس الهندى ، أو الفنان اليابانى ، أو الحكيم الصينى ؛ لا بد لنا أن نسلك سبيلنا من علم الأجناس البشرية — عن طريق علم الآثار — لننتهى إلى التاريخ .

إن الباحثين يملأون بطاح الأرض كلها تنبوتها بحثاً : طائفة تريد الذهب ، وطائفة تريد الفضة وثالثة تنشد الحديد ، ورابعة تسعى وراء الفحم ، وكثيرون إلى جانب هؤلاء يطلبون المعرفة ؛ فيالها من مهمة عجيبة هذه التى يضطلع بها مَنْ يستخرجون آلات العصر الحجرى من جوف الأرض عند ضفاف السوم ، ويدرسون بأعناق مشرئبة الصور الناصعة المرسومة على أسقف الكهوف من عهد ما قبل التاريخ ، ويخرجون جماجم قديمة من مدافنها عند « تشوكوتين » Chou Kou Tien ويكشفون عن المدائن الدفينـــة فى « موهنجودارو » Mohengo-daro أو « يقطان » Yucaton ؛ وينقلون الأنقاض فى سلال تحملها القوافل فى مقابر المصريين التى استنزل أصحابها اللعنة على نابشيها ، وينفضون التراب عن قصور « مينوس » و« پريام » ويزيلون الغطاء عن « پرسوپوليس » ، ويحفرون الأرض فى إفريقيا حفراً ليجدوا بقية من قرطاجنة ، وينقدون من ثنايا الغابات معابد « أنجور » العظيمة ! لقد عثر فى فرنسا « چاك بوشيه دى پرت » فى سنة ١٨٣٩ على أول أثر من الصوّان مما خلّفه العصر الحجرى ؛ ولبث العالم يسخر منه تسعة أعوام كاملة ، لأنه كان فى رأى العالم عندئذ مخدوعاً ؛ وفى سنة ١٨٧٢ أزال « شليمان » — بماله الخاص ، ويوشك أن يكون قد اعتمد على يديه دون غيرهما فى ذلك — أزال التراب عن أحداث مدائن طروادة وإنها لكثيرة ؛ لكن العالم كله ابتسم له ابتسامة المرتاب ؛ ولعل التاريخ لم يشهد من قرونه قرناً اهتم أهله بالتاريخ كالقرن الذى تلا رحلة شمپوليون الشاب فى صحبة نابليون الشاب إلى مصر (عام ١٧٩٨) وعاد نابليون من رحلته خالى الوفاض ؛

أما شمپوليون فقد عاد وفى قبضته مصر بأسراها ، ماضيها وحاضرها ؛ ومنذ ذلك الحين ، أخذ كل جيل يستكشف مدنيات جديدة وثقافات جديدة ، ويرجع خطوة وراء خطوة بحدود معرفة الإنسان بتطوره ؛ فلن تجد جوانب كثيرة من حياة هـــذا النوع البشرى السافك للدماء ، أجمل من هذا الشغف الشريف بالاستطلاع ، هذه الرغبة القلقة المغامرة فى سبيل العلم .

peikar.com

الفصل الثانى

أهل العصر الحجرى القديم

بطانة چيولوچية — الأنماط البشرية فى ذلك العصر

كتب لنا الكُتّابُ عدداً ضخما من الكتب ليوسّعوا نطاق علمنا بالإنسان البدائى ، ويخفوا معالم جهلنا به ؛ ونحن نترك للعلوم الأخرى ذات الخيال المبدع مهمة وصف الناس فى العصرين الحجريين القديم والحديث ، ونكتفى هنا بما نحن مَعْنِيُّون به ، وهو تعقّب الإضافات التى أضافتها الثقافات الحجرية بعصريها القديم والحديث ، إلى حياتنا المعاصرة .

إن الصورة التى ينبغى أن نكوّنها لأنفسنا بطانةً للقصة التى نرويها ، هى صورة أرض تختلف اختلافاً بيّنا عن الأرض التى تحملنا اليوم فى حياتنا العابرة ؛ هى صورة أرض ربما كانت ترتجف بأنهار الثلج التى كانت تجتاحها حيناً بعد حين ، والتى جعلت من المنطقة المعتدلة اليوم منطقة منجمدة مدى آلاف السنين ، وكوّمَتْ جلاميد من الصخر مثل جبال الهملايا والألب والبرانس ، فى طريق هذا المحراث الثلجى الذى كان يشق الأرض فى سيره شقّا(*) .

فلو أخذنا بنظريات العلم المعاصر على سرعة تغيّرها ، قلنا إن الكائن الذى أصبح فيما بعد إنساناً حين تعلّم الكلام ، كان أحد الأنواع القادرة على الملاءمة بين نفسها وبين البيئة ، التى بقيت بعد هذه القرون المتجمدة بجليدها ؛ وبينما كان

(*) تحدد النظرية الچيولوچية القائمة الآن تاريخ عصر الجليد الأول بسنة ٥٠٠,٠٠٠ قبل الميلاد ، والمرحلة الأولى التى توسطت عصرين جليديين بسنة تقع بين ٤٧٥,٠٠٠ و ٤٠٠,٠٠٠ قبل الميلاد ، وعصر الجليد الثانى بسنة ٤٠٠,٠٠٠ قبل الميلاد . والمرحلة الثانية التى توسطت عصرين جليديين بسنة بين ٣٧٥,٠٠٠ و ١٧٥٠٠٠ قبل الميلاد ؛ والعصر الجليدى الثالث بسنة ١٧٥,٠٠٠ قبل الميلاد ، والمرحلة الثالثة التى توسطت عصرين جليديين بسنة تقع بين ١٥٠,٠٠٠ و ٥٠,٠٠٠ قبل الميلاد ؛ والعصر الجليدى الرابع (والأخير) بسنة تقع بين ٥٠,٠٠٠ و ٢٥,٠٠٠ قبل الميلاد(٢) ونحن الآن فى مرحلة أعقبت عصراً جليدياً لم يحسب تاريخ نهايته حسابا دقيقاً .

الجليد يتراجع فى المراحل التى تتوسط العصور الجليدية ، (بل قبل ذلك بكثير فيما نعلم) استكشف هذا المخلوق العجيب النار ، وطَوَّرَ فنَّ نحت الصخر والعظم ليصنع أسلحة وآلات ، فمهد السبيل بذلك لقدوم المدنيَّة .

ولقد وجدت بقايا كثيرة ترجع إلى هذا الإنسان السابق للتاريخ — ولو أن هذه المعلومات أصابها كثير من التعديل فيما بعد — فى سنة ١٩٢٩ كشف صينى شاب عالم بالحفريات الحيوانية والنباتية ، وهو « و . س . پى» W. C. Pei فى كهف عند « تشوكوتين » — وهو يبعد عن « پيپين Peiping نحو سبعة وثلاثين ميلا — عن جمجمة ، وقد قال عنها علماءُ خبراءُ مثل « الأب بريل » Abbé Breuil و « ج . إليَتْ سمث» G. Eliot Smith إنها جمجمة بشرية ووجدت آثار من النار بالقرب من الجمجمة ؛ كما وجدت أحجار استخدمت آلاتٍ بغير شك ؛ لكنهم وجدوا كذلك عظام حيوان ممزوجة بتلك الآثار ، أجمع الرأى على أنها ترجع إلى عصر البليستوسين الأول وهو عصر تاريخه مليون سنة مضت(٣) ؛ هذه الجمجمة التى وجدت عند « پيپين » هى بإجماع الآراء أقدم ما نعرف من القواقع البشرية ، والآلات التى وجدت معها هى أقدم مصنوعات فى التاريخ ؛ وكذلك وَجَدَ « دُوسُنْ » Dawson و « وُودْوُورْدْ » Woodward عند « پِلْتداون » فى مقاطعة سَسِكْس بإنجلترا ، سنة ١٩١١ قِطَعاً من العظم يمكن أن تكون بشرية ، وهى التى تعرف اليوم باسم « إنسان پِلْتداون » أو باسم « يوانتروپس » Eoanthropus (معناها إنسان الفجر) والتاريخ الذى يحددونه لها يتراوح على مسافة طويلة من الزمن ، من سنة مليون إلى ١٢٥٫٠٠٠ قبل الميلاد ؛ ومثل هذه التخمينات يدور أيضاً حول عظم الجمجمة وعظام الفخذ التى وجدت جاوه سنة ١٨٩١ وعظمة الفك التى وجدت قرب هيدلبرج سنة ١٩٠٧ ؛ وأقدم القواقع التى لا شك فى أنها بشرية وجدت فى « نياندرتال » بالقرب من دسلدورف بألمانيا سنة ١٨٥٧ ، وتاريخها فيما يظهر هو سنة ٤٠٫٠٠٠

قبل الميلاد ، وهى تشبه البقايا البشرية التى كُشف عنها فى بلجيكا وفرنسا واسپانيا بل وعلى شواطئ بحر جاليلى ؛ حتى لقد صَوَّر العلماء عصراً بأسره من « إنسان النياندرتال » ساد أوروبا منذ حوالى أربعين ألف عام قبل عصرنا هذا ؛ وكان هؤلاء الناس قصاراً ، لكن لهم جماجم سعة الواحدة منها ١٦٠٠ سنتيمتر مكعب أى أنها أكبر من جمجمة الرجل فى هذا العصر بمائتى سنتيمتر مكعب(٤)

ويظهر أن قد حل جنس جديد اسمه « كرو — مانيون » Cro-Mangon حول سنة ٢٠٫٠٠٠ قبل الميلاد محل هؤلاء السكان الأقدمين لأوروبا ، كما تدلنا الآثار التى كُشف عنها (سنة ١٨٦٨) فى مغارة بهذا الاسم فى منطقة « دوردونى » فى فرنسا الجنوبية ؛ ولقد استخرجت بقايا كثيرة من هذا النمط ترجع إلى العصر نفسه ؛ من مواضع مختلفة فى فرنسا وسويسرا وألمانيا وويلز . وكلها تدل على قوم ذوى قوة عظيمة وقوام فارع يتراوح طوله من خمس أقدام وعشر بوصات إلى ست أقدام وأربع بوصات ولهم جماجم سعة الواحدة منها تختلف من ١٥٩ إلى ١٧١٥ سم مكعب(٥) ، وتعرف فصيلة « كرو — مانيون » كما تعرف فصلية « نياندرتال » باسم « سكان الكهوف » ذلك لأن آثارهم وجدناها فى الكهوف ، لكن ليس هناك دليل واحد على أن الكهوف كانت كل ما لديهم من المساكن ؛ فقد يكون ذلك سخرية بنا من الزمن ، أعنى أن علماء الحفريات لم يجدوا من آثار هؤلاء الناس إلا آثار من سكنوا الكهوف ولاقوا فيها منا ياهم ؛ والنظرية العلمية اليوم تذهب إلى أن هذه الفصيلة العظيمة إنما جاءت من آسيا الوسطى مارة بإفريقية . حتى بلغت أوروبا ، وأنها شقت طريقها فوق جسور من اليابس يقال إنها كانت عندئذ تربط إفريقية بإيطاليا وأسبانيا(٦) . وإن طريقة توزيع هذه القواقع البشرية ليميل بنا إلى الظن بأنهم لبثوا عشرات من السنين بل ربما لبثوا قروناً طوالا يقاتلون فصيلة « نياندرتال » قتالا عنيفاً لانتزاع أوروبا من أيديهم . وهكذا ترى أن النزاع بين ألمانيا وفرنسا ضارب بجذوره فى القدم ؛ ومهما يكن من

أمر فقد زال إنسان « نياندرتال » عن ظهر الأرض حيث عمرها إنسان « كرو — مانيون » الذى أصبح السلف الأساسى الذى عنه جاءت أوروبا الغربية الحديثة ، وهو الذى وضع أساس المدنية التى انتهت إلى أيدينا اليوم .

إن الآثار الثقافية لهذه الأنماط البشرية التى بقيت فى أوروبا من العصر الحجرى القديم تقع فى سبعة أقسام رئيسية تختلف باختلاف المواضع التى وجدنا فيها أقدم الآثار أو أهمها فى فرنسا . وكلها جميعاً إنما يتميز باستخدام آلات غير مصقولة ؛ والأقسام الثلاثة الأولى منها قد تم لها التكوين فى الفترة المضطربة التى توسطت العصرين الجليديين الثالث والرابع .

١ — الثقافة (أو الصناعة) السابقة للعهد الشيلى Pre-Chellean وهو عصر يقع تاريخه حول سنة ١٢٥٠٠٠ قبل الميلاد ومعظم الأحجار الصوّانية التى وجدناها فى هذه الطبقة الوطيئة من طبقات الأرض لا تدل دلالة قوية على أن أهل ذلك العصر قد صاغوها بصناعتهم والظاهر أنهم قد استخدموها كما صادفوها فى الطبيعة [ذلك إن كانوا قد استخدموها إطلاقا] لكن وجود أحجار كثيرة بينها لها مقبض يلائم قبضة اليد ، ولها حَدٌّ وَطَرَفٌ (إلى حَدٍّ ما) يجعلنا نزعم هذا الشرف للإنسان السابق للعهد الشيلى ، شرف صناعة أول آلة استخدمها الأوربيون ، وهى المدية الحجرية .

٢ — الثقافة الشيلية ويقع تاريخها حول سنة ١٠٠٠٠٠ قبل الميلاد وقد تحسنت فيها هذه الآلة بإرهاف جانبيها إرهافا على شىء من الغلظة وبتدبيبها بحيث تتخذ شكل اللوزة ، ثم بتهيئتها تهيئة تكون أصلح لقبضة اليد البشرية .

٣ — الثقافة الأشولية Acheulean ويقع تاريخها حول ٧٥٠٠٠ قبل الميلاد ولقد تخلفت عنها آثار كثيرة فى أوربا وجرينلندة والولايات المتحدة والمكسيك وإفريقية والشرق الأدنى والهند والصين ؛ وهذه المرحلة لم تُصْلح من المدية الحجرية إصلاحا يجعلها أكثر تناسقا وأحَدَّ طرفا فحسب ، بل أنتجت إلى جانب ذلك

أنواعا كثيرة من الآلات الخاصة كالمطارق والسندانات والكاشطات والصفائح ورءوس السهام وسنان الرماح والمدى ، وفى هذه المرحلة تستطيع أن ترى صورة تدل على مرحلة نشيطة بالصناعة البشرية .

٤ ــ الثقافة الموستيرية mousterian ، وتوجد آثارها فى القارات كلها ، مرتبطة ارتباطاً يسترعى النظر ببقايا إنسان النياندرتال ، وذلك فى تاريخ يقع على نحو التقريب قبل الميلاد بأربعين ألفا من السنين ؛ والمدية الحجرية نادرة نسبيا بين هذه الآثار ، كأنما أصبحت عندئذ شيئا عفى عليه الزمان وحلّ محله شىء جديد ؛ أما هذه الآلات الجديدة فقوام الواحدة منها رقيقةٌ واحدة من الصخر ، أخف من المدية السابقة وزنا وأرهف حَدّاً وأحسن شكلا ، صنعتها أيْد طال بها العهد بقواعد الصناعة ؛ فإذا صعدت طبقة من الأرض فى طبقات العهد البليستوسينى فى جنوب فرنسا وجدت بقايا الثقافة التالية .

٥ ــ الثقافة الأورجناسية Aurignacian وتقع حول عام ٢٥٠٠٠ قبل الميلاد ، وهى أولى المراحل الصناعية بعد أعصر الجليد ، وأولى الثقافات المعروفة لإنسان « كرو ــ مانيون » ؛ وهاهنا فى هذه المرحلة أضيفت إلى آلات الحجر آلات من العظم ــ مشابك وسندانات وصاقلات الخ ــ وظهر الفن فى نقوش غليظة منحوتة على الصخر ، أو فى رسوم ساذجة بارزة ، أغلبها رسوم لنساء عاريات(٧) ؛ ثم جاءت فى مرحلة متقدمة من مراحل تطور إنسان « كرومانيون » ثقافة أخرى ، هى :

٦ ــ الثقافة « السُّولَتْريه » Solutrean التى ظهرت حول سنة ٢٠٠٠٠ قبل الميلاد فى فرنسا وأسبانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولنده ؛ وهنا أضيفت إلى أسلحة العهد الأورجناسىّ السالف وأدواته ، مُدَىٌ وصفائح ومثاقب ومناشير ورماح وحراب ؛ وصُنِعَتْ كذلك إبَرٌ دقيقة حادة من العظم ، وقُدَّتْ آلات كثيرة من قرن الوعل ؛ وترى قرون الوعل منقوشة أحيانا برسوم جسوم حيوانية أرقى بكثير من

الفن فى العصر الأورجناسىّ السابق ، وأخيرا عند ما بلغ إنسان كرومانيون ذروة تطوره ، ظهرت :

٧ — الثقافة المجدلية Magdalenian التى ظهرت فى أرجاء أوروبا كلها حول سنة ١٦,٠٠٠ قبل الميلاد ، وهى تتميز فى الصناعة بمجموعة كبيرة منوعة من رقيق الآنية المصنوعة من العاج والعظم والقرن ، وهى تبلغ حدها الأقصى فى مشابك وإبر متواضعة لكنها تصل حد الكمال فى الإتقان ، وهـــذه المرحلة هى التى تميزت فى الفن برسوم « ألْتَاميرا » Altamira وهى أدق وأرق ما صنعه إنسان كرومانيون .

وضع إنسان ما قبل التاريخ ، فى هذه الثقافات التى شهدها العصر الحجرى القديم ، أسس الصناعات التى كُتِبَ لها أن تبقى جزءا من التراث الأوروبى حتى الثورة الصناعية ، وكان مما سهّل نقلها إلى المدنيّة الكلاسيكية والمدنيّة الحديثة انتشار صناعة العصر الحجرى القديم ؛ والجمجمة وتصاوير الكهوف التى وجدناها فى روسيا سنة ١٩٢١ ، والأحجار الصوّانية التى كشف عنها فى مصر « دى مورجان » De morgan سنة ١٨٩٦ ، وآثار العصر الحجرى القديم التى وجدها « سِتُنْ كار » Seton-Karr فى الصومال ؛ ومستودعات العصر الحجرى القديم فى منخفض الفيوم(*) وثقافة جليج سْتِلْ فى جنوب أفريقيا ، كلها تدل على أن « القارة المظلمة » قد اجتازت نفس المراحل تقريبا التى أوجزناها فيما سلف عن أوروبا قبل التاريخ ، وذلك من حيث صناعة الرقائق الحجرية(٨) ؛ بل ربما كانت الآثار التى وجدناها فى تونس والجزائر ، مما يشبه آثار العصر الأورجناسىّ ، يؤيد النظرية القائلة بأن أفريقيا هى الأصـــل فى تلك الثقافة ، أو هى الحد الذى وقف عنده إنسان «كرومانيون» ، وبالتالى الإنسان الأوروبى(٩) ولقد احتُفِرَتْ آلات من العصر الحجرى القديم فى سوريا والهند والصين وسيبريا وغيرها من أصقاع آسيا(١٠) كما

(*) واحة إلى الغرب من النيل الأوسط .

عثر عليها « أندرو » وسابقوه من الجزويت فى منغوليا[١١] ؛ وكذلك احتُفِرَتْ هياكل لإنسان النياندرتال وأحجار صَوَّانية كثيرة من العهدين « الموستيرى » و « الأورجناسىّ » فى فلسطين ، ولقد رأينا كيف كشف حديثا فى « پيپين » عن أقدم ما نعرفه من بقايا الإنسان وأدواته ، ووجدت آلات من العظم فى نبراسكا ، وأراد بعض العلماء الذين يتأثرون بالروح الوطنية أن يردّوها إلى عام ٥٠٠,٠٠٠ قبل الميلاد ؛ وكذلك وجدت رءوس سهام فى « أوكلاهوما » وفى المكسيك الجديدة ويؤكد لنا واجدوها أنها صنعت عام ٣٥٠,٠٠٠ قبل الميلاد ، وهكذا تراه جسرا عريضا ذلك الذى نقل عَبْرَه إنسانُ ما قبل التاريخ أسس المدنيَّة إلى زميله الإنسان الذى يظهر فى عصور التاريخ .

الفصل الثالث

الفنون فى العصر الحجرى القديم

الآلات - النار - التصوير - النحت

لو أننا فى هذا الموضع أو جزنا ذكر الآلات التى صنعها إنسان العصر الحجرى القديم ، لصوَّرنا لأنفسنا صورة عن حياته أوضح مما لو تركنا لخيالنا الحبل على الغارب ؛ وطبيعى أن يكون أول الآلات حجراً فى قبضة الإنسان ، فكم من حيوان كان فى مستطاعه أن يعلّم الإنسان هذه الآلة ؛ وإذن فقد أصبحت المدية الحجرية المُدَبَّبَةُ فى أحد طرفيها ، والمستديرة فى طرفها الآخر لتلائم قبضة اليد ، أصبحت هذه المدية الحجرية للإنسان البدائى مطرقة وفأسا وإزميلا وكاشطة وسكينا ومنشارا ؛ إلى يومنا هذا ترى الكلمة (الإنجليزية) التى نستعملها لتدل على المطرقة : (hammer) معناها حجر من حيث أصلها اللغوى[٢] ثم حدث على مَرِّ الأيام أن تنوعت هذه الآلات فى أشكالها حتى بَعُدَتْ عن أصلها المتجانس ، فثقبت الثقوب لتركيب مقبض ، وأُدْخلت الأسنان لتكون الآلة منشارا ، وغرزت فروع فى المدية الحجرية لتصبح مغرازا أو سهما أو حربة ؛ كما أصبح الحجر الكاشط الذى كان يتخذ شكل القوقعة ، مجرافا أو معزاقا ؛ وأما الحجر الخشن الملمس فقد جعلوه مِبْرَداً ، وجعلوا حجر المقلاع أداة للقتال بقيت قائمة حتى اجتاز بها الإنسان عصر المدنيَّة الكلاسيكية ذاتها ؛ ولما ظفر إنسان عصر الحجرى القديم بالعظم والخشب والعاج إلى جانب الحجر ، صنع لنفسه مجموعة منوعة من الأسلحة والآلات : صنع الصاقلات والهاونات والفؤوس والصفائح والكاشطات والمثاقب والمصابيح والمدى والأزاميل والشواطير والحراب والسندانات ، وحافرات المعادن والخناجر وأشصاص السمك وحراب الصيد والخوابير والمغاريز والمشابك

وكثيراً غير هذه بغير شك(١٤) ؛ فكان يَعْثُرُ فى كل يوم على عِلْمٍ جديد ، وكان له من قدرته العقلية أحيانا ما يُطَوِّرُ به مكتشفات المصادفة إلى مخترعات مقصودة .

لكن آيته العظمى هى النار ، وفى ذلك أشار « دارونْ » إلى أن حمم البراكين الحار قد يكون هو الذى علّم الإنسان ما النار ؛ ويقول لنا « أسخيلوس »(*) إن « پرومثيوس » صنع النار بإشعاله حَطَبَةً فى فوهة بركان مشتعل على جزيرة « لمنوس »(١٥) ؛ وبين آثار إنسان النياندرتال قِطَعٌ من الفحم وقطع من العظم المحترق وإذن فالنار التى صنعها الإنسان تذهب فى القِدَم إلى أربعين ألف عام مضت(١٦) ؛ وقد أعدّ إنسان « كرو ــ مانيون » لنفسه آنية خاصة تمسك الشحم الذى كان يشعله ليستضىء بضوئه ، وإذن فالمصباح كذلك له من العمر هذا الزمن الطويل ؛ والراجح أن تكون النار هى التى مكّنت الإنسان من اتقاء البرد الناشىء عن الجليد الزاحف ؛ وهى التى أتاحت له النوم فى الليل آمنا من الحيوان الذى ارتعد لهذه الأعجوبة ارتعادا يَعْدِل عبادة الإنسان البدائى إياها ؛ وهى التى قهرت الظلام فكانت أول عامل من العوامل التى حَدَّتْ من الخوف ، والتقليل من خوف الإنسان أحد الخيوط الذهبية فى نسيج التاريخ الذى ليست كل خيوطه ذهبا ، وهى التى خلقت فن الطهى القديم الشريف ، فوسعت بذلك من نطاق الأطعمة الصالحة بحيث صلحت آلاف منها للأكل ولم تكن صالحة له من قبل ، وهى التى أدّتْ أخيرا إلى صهر المعادن والتحام بعضها فى بعض ، وهو الخطوة الوحيدة الحقيقية التى تَقَدَّمها الإنسان فى فنون الصناعة من عهد إنسان « كرو ــ مانيون » إلى عصر الانقلاب الصناعى(١٧)

وإننا لنروى لك عجبا ــ وكأنما نرويه لنوضع قصيدة « جوتييه »(**) على

(*) أسخيلوس مسرحى يونانى قديم ، ومن أهم مسرحياته « برومثيوس » الذى علم الإنسان سر النار فغضب عليه الآلهة لذلك ، إذ كان هذا السر من علم الآلهة وحدهم (المعرب)

(**) شاعر فرنسى عاش فى القرن التاسع عشر ؛ والقصيدة المشار إليها عنوانها « الفن » وهى مترجمة إلى العربية فى الجزء الثالث من قصة الأدب فى العالم ص ١٤٢ ــ ١٤٤ (المعرب)

الفن الجبار الذى يحيا بعد فناء الأباطرة وزوال الدول — إننا نروى لك عجبا إذ نقول إن أوضح آثار خلّفها لنا إنسان العصر الحجرى القديم هى قِطَعٌ من فنه ؛ فقد حدث منذ ستين عاما أن وقع « السنيور مارسلينو دى سوتولا » Marceleno de Soutuola على كهف واسع فى مزرعته فى « التّاميرا » فى شمال إسپانيا ، وكان هذا الكهف قد لبث آلاف الأعوام مقفل الباب كأنه صومعة راهب ، أقفلته صخور سقطت عليه وأمدّتْها الطبيعة بملاط من لدنها حين ربطت بعضها ببعض بأعمدة من رواسب ؛ ثم جاء الإنسان فضرب فى هذا الموضع ضرباته لينشئ لنفسه جديدا ، فإذا به يكشف بضرباته عن مدخل الكهف بطريق المصادفة ؛ ومرت بعدئذ ثلاثة أعوام ثم جاء « سوتولا » ليستطلع الكهف فلحظ على جدرانه علامات غريبة ؛ وذات يوم صحبته ابنته الصغيرة ، ولما لم تكن بذات طول يُلزمها الانحناء كما كانت الحال مع أبيها ، فقد صعّدت بصرها نحو السقف تشهد ما فيه ، فرأت تخطيطا غامضا لبَيْزُونٍ ضخم (البيزون هو ثور برّىّ)

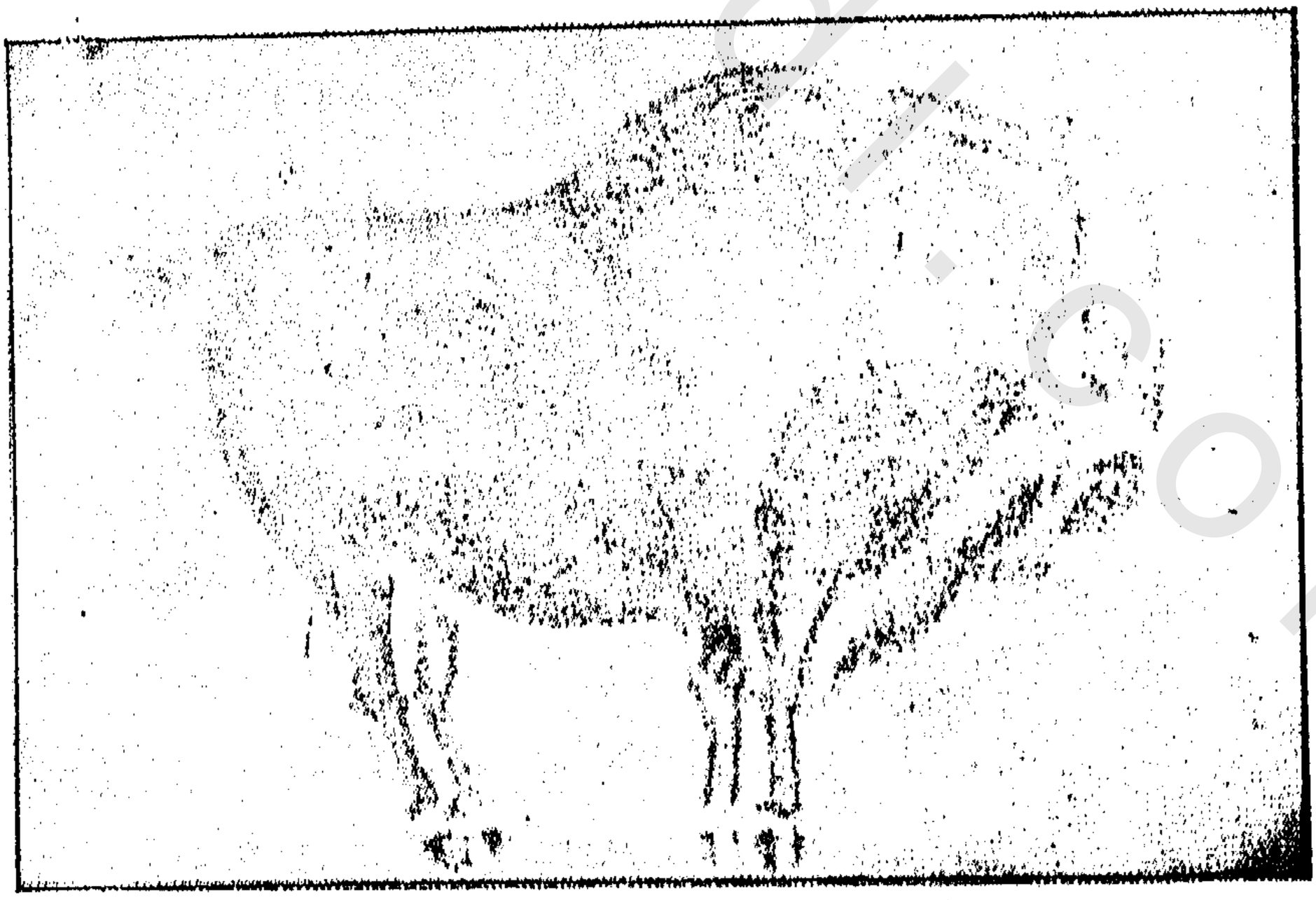

صورة بيزون (ثور متوحش)
وجدت فى كهف من العصر الحجرى فى « ألتاميرا » باسبانيا

جميع الرسم ناصع الألوان ؛ فلما فُحص السقف وفُحصت الجدران فحصا دقيقا وجدت صور أخرى كثيرة ، وفى عام ١٨٨٠ نشر « سوتولا » تقريرا عن مشاهداته ، فقابله علماء الآثار بريبة هى من خصائصهم دائماً ؛ وتفضل عليه بعض هؤلاء العلماء بزيارة يفحص فيها تلك الرسوم ، وينتهى بها إلى الإعلان بأن الرسوم زائفة خطّتها يدٌ خادعة ؛ ودام هذا الشك — الذى ليس لأحد أن يعترض عليه مدى ثلاثين عاما ؛ ثم اكتُشِفت رسوم أخرى فى كهوف يُجمع الرأى على أنها من عهد ما قبل التاريخ (مما فيها من آلات صَوَّانية غير مصقولة وعظم وعاج مصقولين) فأيدت ما كان وصل إليه « سوتولا » من رأى ، لكن « سوتولا » عندئذ لم يكن على قيد الحياة ؛ وجاء الچيولوچيون إلى « ألْتامِيرا » وأقروا بإجماعٍ أدرك الحقيقة بعد أوانها ، أقروا بإجماع أن الرواسب التى كانت تغطى بعض الرسوم إنما ترجع إلى العصر الحجرى الأول(١٨) ؛ والرأى السائد الآن هو أن رسوم « ألْتامِيرا » — والجزء الأكبر من بواقى الفن التى بقيت لنا من عهد ما قبل التاريخ — ترجع إلى الثقافة المجدلية ؛ أى إلى عهد يقع نحو سنة ١٦,٠٠٠ قبل الميلاد(١٩) ؛ وكذلك وُجدت رسومٌ أحدث تاريخا من هذه بقليل ، لكنها ما زالت من بقايا العصر الحجرى القديم ، فى كهوف كثيرة فى فرنسا(*) .

وتمثّل الرسوم فى معظم الحالات صنوفا من الحيوان — أوعالا وماموث وجياداً وخنازير ودببة وغيرها ؛ وربما كانت هذه الصنوف عند إنسان ذلك العصر طعاما شهيا ، ولذلك كانت موضع عنايته فى صيده ؛ وأحيانا ترى صورة الحيوان مطعونا بالسهام ، ومن رأى « فريزر » و « ريناخ » Reinach أن أمثال هذه الصور قُصد بها أن تكون رسوما سحرية تأتى بالحيوان فى قبضة الفنان أو الصائد ، وبالتالى تأتى به إلى معدته(٢٠) ومن الجائز أنها رسوم لم يقصد بها إلا

(*) مثل « كومبارل » و « ليزى يز » و « فون دى جون » وغيرها .

إلى الفن الخالص . دفع إليها الإبداع الفنى وما يصاحبه من لذة فنية خالصة ؛ ذلك لأن أغلظ الرسوم كان يكفى لتحقيق غايات السحر ، على حين ترى هذه الصور فى كثير من الحالات قد بلغت من الرقة والقوة والمهارة حداً يوحى إليك بما يحزنك ، وهو أن الفن — فى هذا الميدان على أقل تقدير — لم يتقدم كثيراً فى شوط التاريخ الإنسانى الطويل ؛ فهاهنا الحياة والحركة والفخامة قد عُبِّر عنها تعبيراً قوياً أخّاذا بخط واحد جرىء أو خطّين ؛ وهاهنا خطّ واحد يصور حيواناً حيّاً مهاجماً (أم هل تكون سائر الخطوط قد محاها الزمن ؟) تُرى هل تبقى صورة « العشاء الأخير » لـ « ليوناردو » Leonardo أو صورة الادّعاء للرسام « إلجريكو » El Greco كما بقيت رسوم « كرو — مانيون » فتظهر خطوطها وألوانها بعد عشرين ألف عام ؟

إن التصوير فن مُتْرَفٌ ، لايظهر إلا بعد قرون طوال تنقضى فى تطو عقلى وفنى ؛ ولو أخذنا بالنظرية السائدة اليوم (ومن الخطر دائما أن تأخذ بالنظريات السائدة) فالتصوير قد تطور عن صناعة التماثيل ، التى بدأت بتماثيل كاملة ، ثم تطورت إلى تماثيل بارزة على لوحة منحوتة ، وعن هذه جاءت خطوة التصوير بالخطوط والألوان ؛ وإذن فالتصوير عبارة عن نحت نقص بُعْدٌ من أبعاده ؛ والخطوة الوسطى من فن ما قبل التاريخ تراها ممثلة خير تمثيل فى نحت بارز يدهشك بقوة وضوحه ، والنحت تمثالٌ لرجل رامٍ بسهم (أو بحربة) وهو منقوش على الصخور الأورجناسيّة « بلُوسِلْ » فى فرنسا ؛ وكَشَفَ « لوى بِجْوان » Louis Begouen فى كهف « بأرْبِيج » فى فرنسا — بين آثار مجدليّة أخرى عن كثير من المقابض المزخرفة صُنِعَتْ من قرون الأوعال ؛ وأحد هذه المقابض يدل على فن ناضج ممتاز ، كأنما كان الفن عندئذ قد اجتاز أجيالا من التدريب والتطور ؛ وكذلك ترى فى أرجاء البحر الأبيض المتوسط منذ عهد ما قبل التاريخ — فى مصر وكريت وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا — صوراً لا عدد لها للنساء سمينات

قصيرات تدل إما على عبادة هؤلاء الناس للأمومة ، وإما على تصور الإفريقيين عندئذ للجمال ؛ واستُخْرجت من الأرض فى تشكوسلوفاكيا تماثيل حجرية لحصان وحشىٍّ ووعل وماموث ، وجدت بين آثار ترجع — على سبيل الشك — إلى سنة ٣٠٫٠٠٠ قبل الميلاد(٢٢) .

إن تفسيرنا لسَيْر التاريخ على أنه سَيْرٌ إلى الأمام ، لينهار من أساسه إذا شككنا فى أن هذه التماثيل وهذه النقوش البازغة وهذه الصور — على كثرة عددها — قد لا تكون إلا جزءاً صغيراً جداً من الفن الذى عَبَّرَ به الإنسان البدائى عن نفسه ، أو الذى زَيَّنَ به حياته ؛ إن ما بقى لنا كله فى كهوف ، حيث عَزَّ على عوامل المناخ أن تتسلَّلَ إليها فتفسدها ، ولكن ذلك لا يقتضى أن إنسان ما قبل التاريخ لم يكن فنانا إلا حين سكن الكهوف ؛ فربما نحتوا فى كل مكان كما يفعل اليابانيون ، وربما أكثروا صناعة التماثيل مثل اليونان ، وربما لم يقتصروا فى تصويرهم على صخور الكهوف ، بل صوروا كذلك رسومهم على أقمشه وخشب وعلى كل شىء آخر — غير مستثنين أجسامهم ؛ ربما أبدعوا فى الفن آيات تفوق بكثير هذه القطع التى بقيت لنا ؛ ففى أحد الكهوف وجدنا أنبوبة مصنوعة من عظم الوعل وملآنة بمادة ملوِّنة لجلد الإنسان(٢٣) ؛ وفى كهف آخر وجدنا لوحة مصور فنان مما يوضع عليه الألوان عند التصوير ، وجدناها لا تزال تحمل على سطحها طلاء مَغْرَةٍ (تراب حديدى) أحمر ، على الرغم من مائتى قرن مضت عليه(٢٤) ؛ فالظاهر أن الفنون بلغت درجة عالية من التطور ، واتسع نطاقها بين الناس منذ ثمانية عشرة ألف عام ؛ فيجوز أن قد كان بين أهل العصر الحجرى القديم فنانون محترفون ، ويجوز أن قد كان بينهم كذلك همجٌ متأخرون يتضورون جوعا ويسكنون الكهوف الحقيرة ، حيث ينكرون الطبقات الغنية من التجار ، ويتآمرون على قتل المجامع العلمية ، ويصنعون بأيديهم أشياء وصلت إلينا فأصبحت تُحَفا .

الفصل الرابع

ثقافة العصر الحجرى الحديث

فضلات المطبخ — سكان البحيرة — ظهور الزراعة — استئناس الحيوان — الأساليب الفنية — النسيج فى العصر الحجرى الحديث — صناعة الخزف — البناء — النقل — الدين — العلم — موجز لما تم فيما قبل التاريخ من تمهيد للمدنية

حدث فى فترات مختلفة من القرن الأخير أن وُجِدت أكداس هائلة مما يرجح أنه من فضلات ما قبل التاريخ ، وجدت فى فرنسا وساردينيا والبرتغال والبرازيل واليابان ومنشوريا ، ثم وُجدت فوق ذلك كله فى الدانمركه حيث أطلق عليها هذا الاسم العجيب « فضلات المطبخ » الذى أصبحت تعرف به أمثال هذه الأكداس من آثار القديم ؛ وتتألف أكداس الفضلات هذه من قواقع ، خصوصا قواقع المحار وبلح البحر وحلزون البحر ، ومن عظام كثير من الحيوانات البرية والبحرية ، ومن آلات وأسلحة صنعت من العظم والقرن والحجر غير المصقول ، ومن بقايا أرضية مثل الفحم والرماد والخزف المكسور ؛ وهذه الآثار التى لا تأخذ العين بجمالها — دلائل واضحة على ثقافة تكونتْ فى تاريخ يقع حول سنة ثمانية آلاف قبل الميلاد ؛ وهو تاريخ أحدث من العصر الحجرى القديم بالمعنى الدقيق ، لكنه كذلك لا يبلغ من الحداثة أن يكون من العصر الحجرى الحديث ، لأنه لم يكن قد وصل بعد إلى عصر استخدام الحجر المصقول ؛ ولا نكاد نعلم شيئا عمَّنْ خلَّفُوا لنا هذه الآثار ، سوى أن ذوقهم كان أصيلا إلى حد ما ؛ ويمكن اعتبار « فضلات المطبخ » — بالإضافة إلى ثقافة « مادزيل » Mas d'azil فى فرنسا ، وهى أقدم من الفضلات قليلا — ممثلة لعصر حجرى وسيط ، هو بمثابة مرحلة انتقال بين العصرين الحجريين القديم والحديث :

وفى عام ١٨٥٤ حيث كان الشتاء من الجفاف بدرجة خارقة للمألوف ، هبط مستوى الماء فى البحيرات السويسرية ، فكشف عن عصر آخر من عصور ما قبل التاريخ ؛ فوجدت أكوام فيما يقرب من مائتى موضع فى هذه البحيرات ؛ ووجد أن هذه الأكوم ظلت مكانها تحت الماء زمنا يتراوح بين ثلاثين قرنا وسبعين ؛ ولقد كانت تلك الأكوام مصفوفة

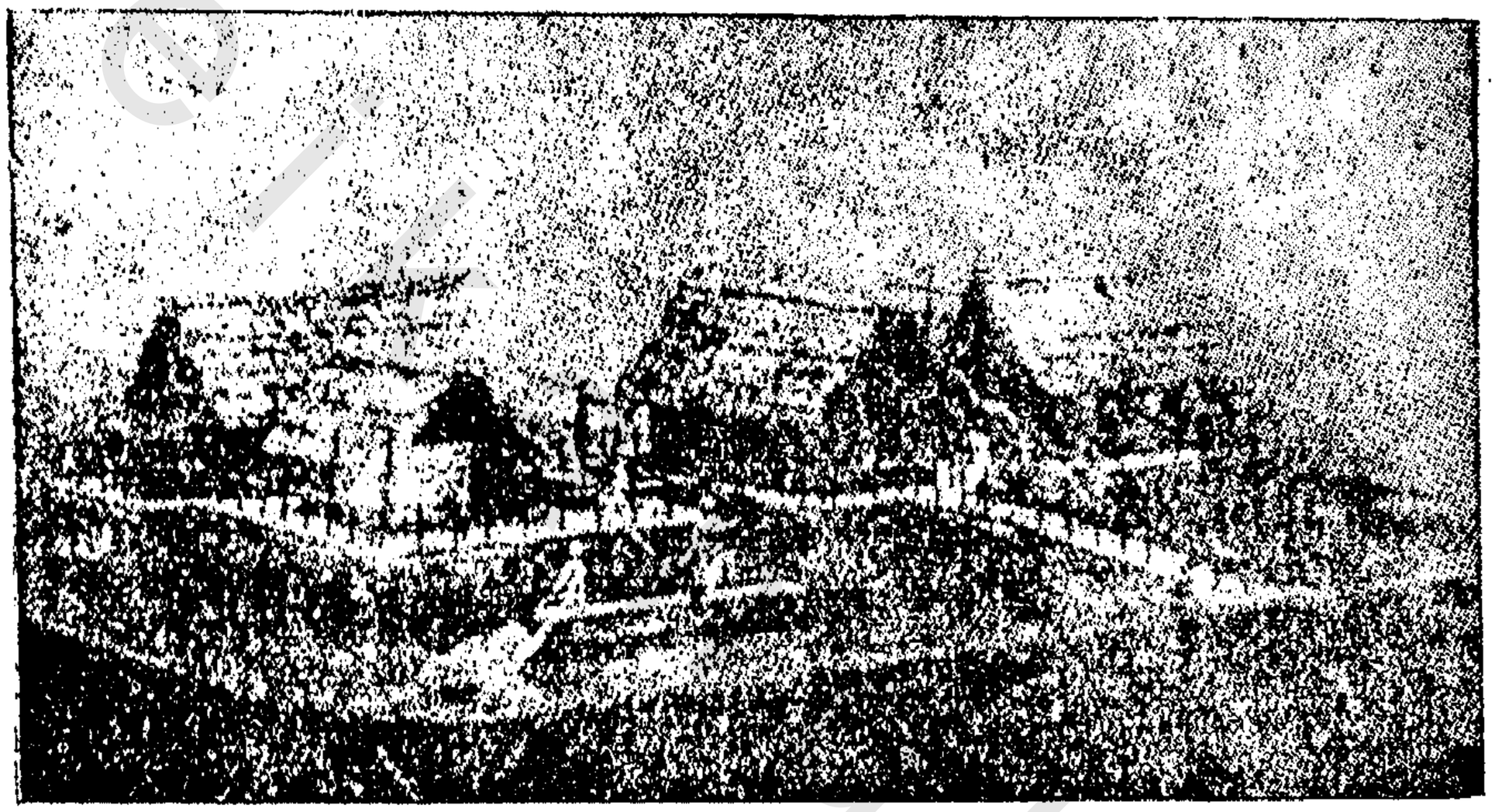

صورة أكملها المصور بخياله للمنازل التى بقيت آثارها تحت ماء البحيرات السويسرية من عصور ما قبل التاريخ

على نحو يبيّن أن قد شيدت فوقها قُرًى صغيرة ، وربما شيدت هناك رغبة فى العزلة أو فى الدفاع ؛ وأن كل قرية كانت تتصل باليابس بجسر ضيق لم تزل آساس بعضها فى أماكنها ؛ وكانت قوائم المنازل نفسها ما تزال باقية هنا وهناك ، لم تُزِلْها الأمواه بفعلها الدءوب(*) وبين هذه الخرائب الباقية وجدت آلات من العظم والحجر المصقول الذى أصبح

(*) وجدت مساكن فى البحيرات شبيهة بهذه الدور ، فى فرنسا وإيطاليا وسكتلنده والروسيا وأمريكا الشمالية والهند وغيرها ؛ ولا تزال قرى كهذه موجودة فى بورنيو وسومطره وغينا الجديدة وغيرها(٢٦) والذى أطلق على فنزويلا اسم « البندقية الصغيرة » هو « ألونسو دى أوجدا » الذى استكشفها من الأوربيين (سنة ١٤٩٩) فوجد أن أهلها يعيشون فى مساكن على هيئة الأكوام فى بحيرة ماراسيبو(٢٧)

فى رأى علماء الآثار علامة مميزة للعصر الحجرى الجديد الذى ازدهر حول سنة ١٠,٠٠٠ قبل الميلادفى آسيا، وحول سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد فى أوروبا(٢٨): وشبيه بهذه الآثار ما تركه الجنس البشرى العجيب الذى نسميه باسم «بُنَاة الجبال» من بقايا هائلة ضخمة فى وديان المسسبي وفروعه ؛ ولسنا ندرى عن ذلك الجنس من أجناس البشر إلا أنه فى هذه الجبال التى بنوها وتركوها على هيئة مذابح القربان أو على أشكال هندسية مختلفة أو على هيئة حيوانات الطوطم ، وُجدت أشياء صنعوها من حجر وقوقع وعظم ومعدن مطروق ، مما يضع هؤلاء الناس الملغزين فى خاتمة العصر الحجرى الجديد :

فلو حاولنا أن نلفّق صورة من هذه الأشتات الأثرية عن العصر الحجرى الجديد ، لرأينا فى الصورة على الفور خطوة جديدة خطاها الإنسان ، تثير فيك الدهشة عند رؤيتها ، ألا وهى الزراعة ؛ إنك تستطيع أن تقول إن التاريخ الإنسانى كله — بمعنى من معانيه — يدور حول انقلابين : الانقلاب الذى حدث فى العصر الحجرى الحديث فنقل الإنسان من الصيد إلى الزراعة ، والانقلاب الذى حدث أخيرا فنقله من الزراعة إلى الصناعة ؛ ولن تجد فيما شهد الإنسان من ضروب الانقـــلاب ما هو حقيق أساسىّ كهذين الانقلابين ؛ فالآثار تدلنا على أن « سكان البحيرة » كانوا يأكلون القمح والذرة والجويدار والشعير والشوفان ، فضلا عن مائة وعشرين نوعا من أنواع الفاكهة ، وأنواع كثيرة من البندق(٢٩) ؛ ولم نجد فى هذه الآثار محراثا ، ويجوز أن تكون علة ذلك هى أن سنان المحاريث كانت تصنع من خشب ، فيُدَقّ جذع شجرة إلى فرع بمسمار من حجر الصَّوان ؛ لكن نقشا محفورا على الصخر من العصر الحجرى الحديث يدل دلالة لا يأتيها الشك على أنها صورة فلاح يسوق محراثا يَشُدُّه ثوران(٣٠) وهذا يحدد لنا اختراعا جاء بمثابة بداية لعصر جديدة من عصور التاريخ ؛ إن الأرض قبل أن تدخلها الزراعة كان فى مستطاعها أن تهيئ أسباب العيش لمـــا يقرب من عشرين مليونا من

الأنفس البشرية (فى تقدير سير آرثر كيث غير الدقيق) ، وحياة هؤلاء الملايين العشرين كانت معرضة لموت سريع بسبب الصيد والحرب(٣١) ، أما بعد الزراعة فقد بدأ تكاثر الناس تكاثراً أيَّدَ سيادة الإنسان على الأرض سيادة مكينة لا شك فيها .

وفى الوقت نفسه كان أهل العصر الحجرى الحديث يقيمون أساسا آخر من أسس الحضارة ، وهو استئناس الحيوان وتربيته ؛ ولاشك أن قد استغرق هذا العمل حينا طويلا من الدهر ، قد تكون بدايته أسبق تاريخا من العصر الحجرى الحديث ؛ فحب الإنسان بغريزته للاجتماع بغيره ربما كان عاملا مساعدا على اتصال الإنسان والحيوان ، كما لا نزال نرى علائم ذلك واضحة فى فرحة البدائيين بتدريب الوحوش المفترسة ، وفى ملء أكواخهم بالقردة والببغاوات وأمثالها من سائر الزملاء(٣٢) وأقدم العظام فى آثار العصر الحجرى الحديث (حوالى ٨٠٠٠ قبل الميلاد) هى عظام الكلب — الذى هو أقدم زملاء الجنس البشرى عهدا وأشرفها خلقا ؛ ثم جاءت بعد ذلك (حوالى ٦٠٠٠ قبل الميلاد) الماعز والخروف والخنزير والثور(٣٣) وأخيرا جاء الحصان الذى لم يكن عند أهل العصر الحجرى القديم إلا حيوانا يصاد ، إذا حكمنا من الرسوم التى فى الكهوف ؛ أما فى هـــذا العصر الحجرى الحديث فقد أخذه الناس إلى حيث يسكنون واستأنسوه وجعلوا منه عبداً محبباً إلى نفوسهم(٣٤) إذ استخدموه على شتى الصور ليزيد من ثروة الإنسان وفراغه وقوته ؛ وهكذا أخذ هذا الإنسان الذى بسط سيادته على الأرض آخر الأمر ، فى الإكثار من موارد طعامه بتربية الحيوان إلى جانب صيده له ؛ وربما عرف الإنسان كذلك فى هذا العصر الحجرى الحديث نفسه — كيف يستخدم لبن البقرة طعاماً .

وأخذ المخترعون فى العصر الحجرى الجديد شيئاً فشيئاً يوسِّعون ويحسنون آلاتهم وأسلحتهم ، فها هنا ترى بين مخلّفاتهم بكَرات ورافعات ومُرْهِفَات ومغارز

وملاقط وفؤوساً ومعازيق وسلالم وأزاميل ومغازل ومناسج ومناجل ومناشير وأشصاص السمك وقباقيب للانزلاق على الثلج وإبرا ومشابك صَدْر ودبابيس(٣٥) ثم هاهنا فوق هذا كله ترى العجلة ، وهى مخترع آخر من مخترعات الإنسان الأساسية ، وضرورة متواضعة من ضرورات الصناعة والمدنيَّة ؛ فهى فى هذه المرحلة من العصر الحجرى كانت قد تطورت إلى قرص وإلى أنواع أخرى من العجلات ذوات الأقطار ؛ وكذلك استعملوا كل صنوف الحجر فى هذه المرحلة — حتى العِصِيِّ منها كالحجر الزجاجى الأسود — فطحنوه وثقبوه وصقلوه ، واحتُفِرت الصَّوانات على نطاق واسع ؛ فوجدت فى أحد محافر العصر الحجرى الحديث ، فى مدينة براندُن بانجلترا ، ثمان حافرات من قرن الغزال ، ورؤيت على أسطحها المعفّرة بصمات العمّال الذين وضعوها هناك منذ عشرة آلاف من السنين ؛ وفى بلچيكا كشف عن هيكل عظمى لعامـــل من عمال المناجم فى العصر الحجرى الحديث ، سقط عليه حجر فأرداه ، كُشف عنه ولا تزال الحافرة فى قبضة يده(٣٦) فعلى الرغم من مائة قرن تفصلنا عنه ، نحسّ كأنه واحد منا ونشاطره بخيالنا الضعيف فزَعَه وآلامه ؛ فكم من آلاف السنين قضاها الإنسان وهو يمزّق أحشاء الأرض يستخرج الأسس المعدنية التى قامت عليها المدنيَّة !

فلما أن صنع الإنسان الإبر والدبابيس ، بدأ ينسج ، أو إن شئت فقل إنه لما بدأ ينسج حرَّكتْه الضرورة إلى صناعة الإبر والدبابيس ؛ ذلك أن الإنسان لم يعد يرضيه أن يدثّر نفسه بفراء الحيوان وجلوده ، فنسج صوف خرافه وألياف النبات أردية كانت هى أساس الثوب الذى يلبسه الهندوسىّ ، والشَمْلة التى كان يلبسها اليونانى ، والثوب الذى يغطى أسفل الجسم الذى كان يرتديه المصرى ، وسائر الصنوف الخلابة التى تراها فى الثياب عند الإنسان ، ثم اصطنع الناس صبغة استخرجوها صنوفا من أخلاط عصير النبات أو مستخرجات الأرض ، وصبغوا بها الثياب لتكون علامة ترف ينفرد بها الملوك ؛ والظاهر أن الإنسان

أول ما نسج جعل يضفر الخيوط على نحو ما يضفر القشّ بأنه يجدل خيطا مع خيط ؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى ثقْب جلود الحيوان وربطها من هذه الثقوب بألياف غليظة تتخللها ، كالمِشدّات التى كان يستعملها النساء حديثاً ، وكالأحذية التى نلبسها اليوم ؛ ثم أخذت الألياف تتهذب تدريجاً حتى أصبحت خيط ، . وعندئذ أصبحت الحياكة من أهم الفنون عند المرأة ؛ فالمغازل إلى بين آثار العصر الحجرى الحديث تكشف عن أصل من الأصول العظمى للصناعة الإنسانية بل إنك لتجد فى هذه الآثار حتى المرايا(٣٧) ، وإذن فقد أصبح كل شىء مُعَدّاً للمدنيّة :

ولم نجد آثاراً خزفية فى قبور الجزء الأول من العصر الحجرى العظيم ، وإنما ظهرت منه قِطَع قليلة فى آثار الثقافة المجدلية فى بلچيكا(٣٨) ؛ لكنه العصر الحجرى الحديث الذى خلّفَ لنا « فضلات المطبخ » هو الذى نجد فى آثاره خزفاً على شىء من التقدم فى الصناعة ؛ ونحن بالطبع لا نعلم كيف نشأت هذه الصناعة ؛ فيجوز أن قد لاحظ الإنسان البدائى أن الفجوة التى تصنعها قدمه فى الطين ، كانت تحتفظ فى جوفها بالماء دون أن يتسرب(٣٩) ؛ ويجوز أن قد شاءت المصادفة أن تلتقى قطعة من الطين إلى جانب نار موقدة فتجف ، فتوحى بجفافها هذا إلى الإنسان الأول بالفكرة التى أفرزت فى النهاية هذا المخترع ، وكشفت له عما يمكنه استغلاله من هذه المادة التى توجد بكثرة ، والتى تطاوع يده فى تشكيلها ، والتى يسهل تجفيفها فى النار أو الشمس ؛ ولا شك فى أن الإنسان قد لبث آلاف السنين يحفظ طعامه وشرابه فى آنية طبيعية كهذه ، إلى جانب كؤوس القَرْع وجوز الهند وقواقع البحر ؛ ثم صنع لنفسه أقداحاً ومغارف من الخشب أو الحجر ؛ كما صنع السلال والمقاطف من الخلْفاء والقش ، وهاهو ذا قد صنع لنفسه كذلك آنية أدوم بقاء من الطين المجفف وبه ابتدع مخترعا جديداً يُعَدّ من أعظم الصناعات التى عرفها الإنسان ، لكن إنسان العصر الحجرى

الجديد لم يعرف عجلة الخزّاف ، فيما تدل الآثار الباقية لنا ؛ إنما صنع بيديه هذا الطين أشكالا ذات جمال ونفع فى آن معاً ؛ وزخرف الآنية برسوم ساذجة(٤٠) وهكذا جعل صناعة الخزف منذ بدايتها تقريباً لا تقف عند حد كونها صناعة فحسب ، بل جعل منها فنًّا كذلك .

وهاهنا كذلك نجد العلامات الأولى لصناعة أخرى من كُبرى الصناعات الأولى : صناعة البناء ؛ فإنسان العصر الحجرى القديم لم يخلّف لنا أثراً كائناً ما كان لمسكن غير الكهوف ؛ حتى إذا ما بلغنا العصر الحجرى الحديث ، ألفينا بعض وسائل البناء مثل السلّم الخشبىّ والبكرة والرافعة والمفصلة(٤١) ؛ فقد كان « سكان البحيرة » نجارين مهرة يربطون أعمدة الخشب إلى أساس البناء بخوابير ثابتة من الخشب ؛ أو يصلونها وهى موضوعة رأساً لرأس ، أو يزيدونها قوة بدقّ عوارض تتطلب معها على الجوانب ؛ وكانت أرضيّة الغرفة عندهم من الطين ، وجدرانها من الغصون المجدولة مغطاة بطبقة من الطين ، والسقف من اللحاء والقش والحلْفاء والغاب ؛ ثم بمعونة البكرة والعجلة استطاع الإنسان أن ينقل مواد البناء من مكان إلى مكان ، وبدأ فى وضع آساس ضخمة من الحجر لقُراه ؛ وكذلك أصبح النقل صناعة من الصناعات ، فصُنِعت الزوارق التى لابد أن تكون قد ملأت البحيرات حركة ؛ ونُقِلت التجارة عبر الجبال وإلى القارات البعيدة(٤٢) ، وأخذت أوروبا تستورد من البلاد النائية أحجاراً نادرة كالعنبر والبَشْم والحجر الزجاجى الأسود(٤٣) وإنك لتجد فى أصقاع مختلفة من الأرض تشابها فى كلمات أو حروف أو أساطير أو خزف أو رسوم ، مما يدلك على ما كان بين جماعات البشر قبل التاريخ من اتصال ثقافى(٤٤)

ولو استثنيت الخزف ، وجدت أن العصر الحجرى الجديد لم يخلّف لنا فنا نستطيع مقارنته إلى ما كان عند إنسان العصر الحجرى القديم من تصوير وصناعة تماثيل ؛ فهنا وهناك بين مشاهد الحياة فى هذا العصر الحجرى الحديث ،

من إنجلترا إلى الصين ، ترى أكواما مستديرة من الحجر ، أو أعمدة قائمة أو آثاراً ضخمة من البناء لا نعرف الغاية من بنائها ، كالتى تراها فى « ستُونْهِنْج) أو « موربهان » ، والراجح أننا لن نعرف معنى هذه الآثار البنائية أو وظائفها ، وربما كانت بقايا مذابح للقرابين أو معابد(٤٥) ذلك لأن إنسان العصر الحجرى الجديد لابد أن قد كانت له ديانات وأساطير يصوّر بها ما يعتور الشمس كل يوم من مأساة ونصر ، وما تصيب التربة من موت وبعث ، كما يصور بها تأثير القمر تأثيراً عجيباً على الأرض ؛ إنه ليستحيل علينا أن نفهم عقائد الإنسان فى عصور التاريخ بغير افتراض أصول كهذه تمتد إلى ما قبل التاريخ(٤٦) ؛ ويجور أن يكون ترتيب الأحجار فى هذه الأبنية نتيجة لاعتبارات فلكية ، ويدل على معرفتهم بالتقويم — كما يظن « شنيدر » Shneider(٤٧) ؛ وكان للناس فى ذلك العصر أيضاً بعض المعرفة العلمية ، لأن بعض الجماجم من العصر الحجرى الجديد وجدت بها آثار تَرْبَنَهْ ، وبعض الهياكل العظيمة فيها أعضاء يظهر أنها كُسِرَت ثم جُبِرَت(٤٨)

ليس فى وسعنا أن نقدر ما أدّاه الإنسان فيما قبل التاريخ تقديراً تاماً ، لأننا من جهة لا ينبغى أن نسترسل وراء الخيال فى تصوير حياتهم بحيث نجاوز ما تبرره الشواهد ، ولكننا قد نشك من جهة أخرى أن الدهر قد محا آثاراً لو بقيت لضيّقَتْ مسافة الخُلْف بين الإنسان الأول والإنسان الحديث ؛ ومع ذلك فما قد بقى لنا من أدلة على خطوات التقدم التى خطاها إنسان العصور الحجرية ، يكفى وحده لتقديره : فحسبنا - ما تم فى العصر الحجرى القديم من صناعة الآلات واكتشاف النار وتقدم الفنون ، وحسبنا ما ظهر فى العصر الحجرى الحديث من زراعة وتربية حيوان ونسج وخزف وبناء ونقل وطب . وسيادة الإنسان على الأرض سيادة لم يَعُدْ منازَعاً فيها ، والتوسع فى عمرانها بأبناء الجنس البشرى ؛ هكذا وُضعت للمدنيّة كل آساسها ؛ كل شىء قد تم إعداده للمدنيات التاريخية إلا المعادن (فيما نظن) والكتاب والدولة ؛ فهيأ للإنسان سبيلا لتسجيل أفكاره وأعماله ، بحيث يمكن نقلها كاملة آمنة من جيل إلى جيل ، تبدأ له المدنيّة .

الفصل الخامس

مرحلة الانتقال إلى العصور التاريخية

١ — ظهور المعادن

النحاس — البرونز — الحديد

متى وكيف بدأ الإنسان استخدام المعادن؟ لسنا ندرى ، نقولها هنا مرة أخرى ؛ وكل ما نستطيعه هو أن نقول على سبيل الظن إنه بدأ بفعل المصادفة، ونفترض أن قد كانت بداية ذلك فى نهاية العصر الحجرى الحديث ، ويؤيدنا فى ذلك عدم ظهوره فيما وجدناه من آثار العصور السابقة لذلك التاريخ ؛ فلو حددنا هـــذا التاريخ بسنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد أو نحوها ، أبصرنا أمامنا صورة لعصر المعادن (والكتابة والمدنيّة) لا تمتد إلى أكثر من ستة آلاف عام ، نراها بمثابة الذيل الصغير الذى أعقب عصراً حجرياً امتد على وجه الدهر أربعين ألف عام على أقل تقدير ، أو أعقب عمراً طويلا عاشه الإنسان مداه مليون عام(*) ؛ ألا ما أحدث العهد الذى يدوّنه لنا التاريخ .

كان النحاس أول معدن يلين لاستخدام الإنسان فيما نعلم ؛ فنجده فى مسكن من « مساكن البحيرة » عند « روبنهاوزن » فى سويسره ، ويرجع ذلك إلى سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد تقريباً(٤٩) ونجده أيضاً فى أرض الجزيرة (بين دجلة والفرات) من عهد ما قبل التاريخ ، ويرجع إلى سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد تقريبا ؛ ثم نجده فى مقابر البدارى فى مصر ، ويرجع عهده إلى ما يقرب من سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، ونجده كذلك فى آثار « أور » التى ترجع إلى سنة ٣١٠٠ قبل الميلاد

(*) ذلك إذا وافقنا على أن « إنسان بكين » يرجع إلى بداية العصر البليستوسينى .

تقريباً ، وفى آثار « بناة الجبال » فى أمريكا الشمالية ، التى ترجع إلى عصر لانستطيع تحديده(٥٠) وليست تقع بداية عصر المعادن عند تاريخ اكتشافها ، بل يبدأ ذلك العصر بتحوير المعادن بوساطة النار والطَّرْق بحيث تلائم غايات الإنسان ؛ ويعتقد علماء المعادن أن أول استعدان للنحاس من مناجمه الحجرية جاء بفعل المصادفة حين أذابت نارٌ أوقدها الناس لبستدفئوا ، نحاساً كان لاصقاً بالأحجار التى أحاطوا بها النار ؛ ولقد لوحظت أمثال هذه المصادفة مرارا فى اجتماعات البدائيين حول نارهم فى عصرنا هذا ؛ ومن الجائز أن تكون هذه الحادثة العابرة هى التى أدت بالإنسان الأول فى نهاية الأمر — بعد تكرارها مرات كثيرة — ذلك الإنسان الذى لبث أمدا طويلا لايساوره القلق فى استعمال الحجر الأصم الصليب ، أن يجعل من هذه المادة المرنة عنصرا يتخذ منه آلاته وأسلحته ، لأنها أيسر من الحجر صياغة وأدوم بقاء(٥١) ؛ والأغلب أن يكون المعدن قد استعمل بادئ ذى بدء بالصورة التى قدمته عليها يد الطبيعة ، وإنها لَيَدٌ فيها سخاء وبها إهمال فى آن واحد ؛ فكان نقيا حينا ، مشوبا فى معظم الأحيان ثم حدث بعد ذلك بزمن طويل — وربما كان ذلك حول سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد — فى المنطقة التى تحيط بالطرف الشرقى من البحر الأبيض المتوسط ، أن وقع الناس على فن صهر المعادن واستخراجها من مناجمها ؛ ثم بدءوا فى صبِّها نحو سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد (كما تدل على ذلك النقوش البارزة فى مقبرة رخ — مارا فى مصر) ؛ فكانوا يصبّون النحاس المصهور فى إناء من الطين أو الرمل ، ثم يتركونه يبرد على صورة يريدونها ، مثل رأس الرمح أو الفأس(٥٢) ؛ فلما أن كشف الإنسان عن هذه العملية فى النحاس ، استخدمها فى مجموعة منوَّعة من المعادن الأخرى ؛ وبهذا توفر للإنسان من العناصر القوية ما استطاع به أن يبنى أعظم ما يعرف من ضروب الصناعة ، وتهيأ له الطريق إلى غزو الأرض والبحر والهواء ؛ ومن الجائز أن تكون كثرة النحاس فى شرقى البحر الأبيض المتوسط

هى التى سبَّبَتْ قيام ثقافات جديدة قوية فى الألف الرابع من السنين قبل الميلاد ، فى « عيلام » و « ما بين النهرين » ومصر ، ثم امتدت من هاتيك الأصقاع إلى سائر أجزاء المعمورة فبدّلتها حالا بعد حال(٥٣) .

غير أن النحاس وحده ليِّنٌ ، فهو على الرغم من شدة صلاحيته للتشكيل مما ينفع فى تحقيق طائفة من أغراضنا (ماذا كان يصنع عصرنا الكهربائى بغير نحاس ؟) إلا أنه أضعف من أن يحتمل مهام السلم والحرب التى تتطلب معدنا أقوى ؛ لهذا كان لابد من عنصر آخر يضاف إلى النحاس ليشدّ من صلابته ؛ ورغم أن الطبيعة قد أشارت إلى الإنسان بما عسى أن يضيفه إلى النحاس لهذه الغاية من مواد كثيرة الأنواع ، بل إن الطبيعة كثيراً ما قدمت له نحاسا تم بالفعل خلطه واشتدت صلابته بما فيه من قصدير وزنك ، مكوِّنةً بذلك برونزا طبيعيا أو نحاسا أصفر ، على رغم هذه المعونة من الطبيعة ، فقد لبث الإنسان — فيما نظن — قرونا قبل أن يخطو الخطوة الثانية فى هذا الصدد ؛ وأعنى بها خلط معدن بمعدن خلطا مدبَّرا مقصودا للحصول على مركبات أصلح لأغراضه ؛ وعلى كل حال فهذا الكشف قد اهتدى إليه الإنسان منذ خمسة آلاف عام على أقل تقدير لأننا وجدنا البرونز بين الآثار الكريتية التى ترجع إلى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وفى الآثار المصرية التى ترجع إلى سنة ٢٨٠٠ قبل الميلاد ، وفى ثانى مدن طرواده سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد(٥٤) ؛ فلم يعد — إذن — فى وسعنا أن نتحدث عن « عصر البرونز » بمعنى الكلمة الدقيق ، لأن هذا المعدن قد ظهر لشعوب مختلفة ، فى عصور مختلفة ، وإذن فعبارة « عصر البرونز » ليس لها معنى زمنى تؤديه(٥٥) أضف إلى ذلك أن بعض الثقافات الإنسانية قد عَبَرَ مرحلة البرونز لم يَخْطُها ، بل وثب رأسا من عصر الحجر إلى عصر الحديد ، كما هى الحال فى ثقافات فنلنده وشمال روسيا وپولنيزيا وأفريقيا الوسطى وجنوب الهند وشمال أمريكا واستراليا واليابان(٥٦) ؛ بل إن الثقافات التى ظهرت فيها مرحلة البرونز ، لم يحتل فيها هذا

المعدن إلا مكانة ثانوية ، باعتباره تَرَفاً يتمتع به الكهنة وعِلْيَةُ الناس والملوك ، على حين ظل غمار الشعب مرغما على الوقوف عند مرحلة الحجر لا يجاوزها(٥٧) وحتى عبارتا « العصر الحجرى القديم » و « العصر الحجرى الحديث » فهما نسبيتان إلى حد كبير ، وتصفان صورا من الحياة أكثر مما تحددان أزماناً وعصورا فإلى يومنا هذا يعيش كثير من الشعوب البدائية فى عصرنا الحجرى (مثل الإسكيمو وسكان جزاير پولنيزيا) لا يعرفون الحديد فى حياتهم إلا على أنه تَرَفٌ يجيئهم به الرحّالة المستكشفون من خارج ؛ فعندما أرسى « الكابتن كوك » سفنه فى زيلندة الجديدة سنة ١٧٧٨ ، اشترى بضعة خنازير بمسمار ثمنه ستة بنسات (قرشان ونصف قرش) ، ووصف رحّالة آخر سكان « جزيرة الكلب » بأنهم « فى حاجة نَهِمَةٍ للحديد ، حتى لتجدثهم أنفسهم أن ينتزعوا المسامير من السفن »(٥٨)

ولئن كان البرونز قوياً شديد الاحتمال ، إلا أن النحاس والقصدير اللازمين لصناعته لم يكونا من الكثرة فى الكمية أو فى أماكن وجودهما بحيث يجد الإنسان حاجته من أجوده صنفاً لشئون الصناعة والحرب ؛ فكان لابد للحديد أن يظهر عاجلا أو آجلا ؛ وإنه لمن متناقضات التاريخ ألا يظهر الحديد — على وفرته — إلا بعد أن ظهر النحاس والبرونز ؛ وربما بدأ الناس استخدام الحديد بصناعة الأسلحة من حديد الشهُب ، كما قد صنع « بُنَاةُ الجبال » — فيما يظهر — وكما يفعل بعض البدائيين حتى يومنا هذا ؛ ويجوز أن يكون الناس قد عقّبوا على ذلك بإذابة المعدن من منجمه بوساطة النار ، ثم طرقوه إلى حديد مشغول ؛ ولقد وجدنا ما يشبه أن يكون حديداً شهابياً فى المقابر المصرية قبل عهد الأسرات المالكة ؛ وتذكر النقوشُ البابليةُ الحديدَ على أنه سلعة نادرة ثمينة فى عاصمة حمورابى (٢١٠٠ قبل الميلاد) ؛ وكشفنا عن مَسْبَك للحديد قد يرجع عهده إلى أربعة آلاف عام ، فى روديسيا الشمالية ، كما أن استنجام الحديد فى جنوب أفريقيا

ليس وليد العصور الحديثة ؛ وأقدم حديد مشغول مما نعرف ، مجموعةٌ من المُدَى وُجِدَتْ فى « جيرار » فى فلسطين ، حَدَّدَ « پترى » تاريخها بسنة ١٣٥٠ قبل الميلاد ؛ ثم ظهر الحديد بعد ذلك بقرن كامل فى مصر ، فى عهد الملك العظيم رمسيس الثانى ؛ وبعد ذلك بقرن آخر من الزمان ، ظهر فى جزر بحر إيجه ؛ وأما فى غرب أوروبا فقد ظهر فى « هولستات » Holistatt بالنمسا حوالى سنة ٩٠٠ قبل الميلاد ، كما ظهر فى صناعة مدينة « لاتين » La Tène فى سويسرا حول سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ؛ وقد عرفته الهند حين أدخله فيها الإسكندر ، وعرفته أمريكا على يدى كولمبس ، كما عرفته أوشيانيا بفضل « كوك »(٥٩) ؛ وبهذه السرعة الوئيدة الخطى ، طفق الحديد ، قرناً بعد قرن ، يطوف بالعالم ليغزوه .

٢ — الكتابة

أصولها الخزفية الممكنة — « رموز البحر الأبيض المتوسط » — الكتابة الهيروغليفية — أحرف الهجاء

لكن أوسع خطوة خطاها الإنسان فى انتقاله إلى المدنيّة هى الكتابة ؛ ففى قطع من الخزف هبطت إلينا من العصر الحجرى الثانى ، خطوطٌ مرسومة بالألوان فَسَّرها كثير من الباحثين على أنها رموز(٦٠) ؛ وقد يكون هذا موضعاً للشك ، لكنه من الجائز أن تكون الكتابة — بمعناها الواسع الذى يدل على رموز من رسوم تعبّر عن أفكار — قد بدأت بعلامات مطبوعة بالأظفار أو بالمسامير على الطين وهو ليِّن ؛ بغية زخرفته أو تمييزه بعد أن تتم صناعته خزفاً ؛ ففى أقدم كتابة هيروغليفية فى « سومر » توحى صورة الطائر بأوجُه شبه بينها وبين الزخارف الطائرية الموجودة على أقدم الآثار الخزفية عند « سوزا » فى « عيلام » ؛ كذلك أقدم صورة للغلال مما استُخدم فى الكتابة التصويرية ؛ نقُلَتْ رأساً من الزخارف الغلالية الهندسية الأشكال فى « سوزا » و « سومر » ؛

والأحرف المستقيمة الخطوط التى ظهرت بادئ الأمر فى « سومر » حول سنة ٣٦٠٠ ق . م إن هى — فيما يظهر — إلا صورة مختصرة من الرموز والرسوم المصورة أو المطبوعة على الخزف البدائى فى الجزء الأدنى من بلادما بين النهرين أو فى « عيلام » (١٦٠) ؛ وإذن فالكتابة — شأنها شأن التصوير والنحت — قد تكون فى نشأتها فناً خزفياً إذ بدأت ضرباً من ضروب النقش والرسم ؛ وبذلك تكون الطينة نفسها التى استحالت فى يد الخزّاف آنية ، وفى يد النحات تماثيل ، وفى يد البنّاء آجُرًّا ، قد هيأت للكاتب مادته التى يخطّ عليها كتابته ؛ وطريق التطور من هذه البداية إلى الكتابة المسمارية فى بلاد ما بين النهرين ، منطقيُّ المراحل مفهوم التدرّج .

وأقدم الرموز التصويرية المعروفة لدينا هى تلك التى وجدها « فِلِنْدَرز بِتْرى » Flinders Petrie على قطع الفخار وآنيته وعلى قطع من الحجر ، مما كَشَفَ عنه فى مقابر ما قبل التاريخ ، فى مصر وإسبانيا والشرق الأدنى ، ولقد حَدَّدَ عمرها بسخائه المعهود فى تقدير الأعمار ، بسبعة آلاف عام ؛ وهذه الرموز الكتابية التى وجدت فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، تبلغ ما يقرب من ثلاثمائة رمز ، معظمها متشابه فى جميع الأرجاء ، مما يدل على علاقات تجارية قامت بين طرفى البحر الأبيض المتوسط فى عهد يرجع فى التاريخ إلى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد ؛ ولم تكن هذه الرموز صوراً ، بل كان معظمها علامات تجارية — علامات تدل على المِلْكية والكمية أو غير ذلك من معلومات يقتضيها التبادل التجارى ؛ فلئن كان هذا الأصل المتواضع مما يؤذى الطبقة الوسطى من الأغنياء ، فإن لهم ما يعزّيهم فى أن الأدب قد اشتقّ أصولَه من « فواتير » الحساب ومن شحنات المراكب ؛ ولم تكن العلامات حروفاً ، لأن العلامة الواحدة كانت كلمة كاملة أو فكرة بأسرها ، ومع ذلك فمعظمها كان شديد الشبه بأحرف الهجاء الفينيقية ؛ ويستنتج « بترى » من ذلك أن « مجموعة كبيرة من الرموز قد استخدمت شيئاً فشيئاً فى العصور الأولى لأغراض شتى ، فقد تبودلت مع التجارة ، وانتشرت من قطر إلى

قطز ... حتى كتب النصر لنحو ستة رموز ، فأصبحت مِلْكا مشاعاً لطائفة من هيئات التجارة ، بينما أخذت سائر الأشكال التى اقتصر استعمالها على قطر واحد دون بقية الأقطار ، تموت فى عزلتها شيئاً فشيئاً »(٦١) والنظرية القائلة بأن هذه العلامات الرمزية هى أصل الأحرف الهجائية ، جديرة بالاهتمام ، وهى نظرية امتاز الأستاذ « پترى » بأنه يعتنقها دون سائر العلماء(٦٢).

ومهما يكن من أمر تطور هذه الرموزية التجارية الأولى ، فلقد سايرها جنبا إلى جنب ضرب من الكتابة كان فرعاً من الرسم والتصوير ، وكان يعبّر بالصور عن فكر متصل ؛ ولا تزال صخور بالقرب من البحيرة العليا (بحيرة سوپيرير) تحمل آثاراً من الصور الغليظة التى استخدمها هنود أمريكا فى روايتهم لقصة عبورهم هـــذه البحيرة الجبارة رووها للخلف ، أو ربما رووها لزملائهم ، رواية يعبّرون فيها عن زهوهم بما صنعوا(٦٣) ؛ كذلك يظهر أن تطوراً كهذا نَقَلَ الرسم إلى كتابة فى أرجاء حوض البحر الأبيض المتوسط عند نهاية العصر الحجرى الحديث ؛ ويقيناً أنه ما جاءت سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد — وقـــد يكون قبل ذلك التاريخ بزمن طويل — حتى كانت « عيلام » و « سومر » ومصر قد طوّرتْ مجموعة من الصور التى يعبّرون بها عن أفكارهم ، وأطلقوا عليها اسم « الكتابة الهيروغليفية » لأن معظم من قام بها كان من الكهنة(٦٤) وظهرت مجموعة أخرى من هذه الصور شبيهة بتلك ، فى كريت حول سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد ؛ وسنرى فيما بعد كيف استحالت هذه الكتابة الهيروغليفية التى تمثل كلُّ صورة منها فكرة ، كيف استحالت بخطأ الاستعمال ، ثم بما تناولها من تنســيق وتنظيم عرفى ، إلى مقاطع . أعنى إلى مجموعة من الرموز يدل كل منها على مقطع ؛ ثم كيف استخدمت العلامات آخر الأمر لا لتدل على المقطع كله ، بل على أول ما فيه من أصوات . وبهذا أصبحت حروفاً ؛ وربما كان تاريخ هذه الكتابة الهيروغليفية يرتد فى التاريخ إلى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد فى مصر ، وأما فى كريت فقد ظهرت

حول سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد[٦٥] ؛ إن الفينيقيين لم يخلقوا أحرف الهجاء ، ولكنهم اتخذوا منها سلعة للبيع والشراء ؛ فقد أخذوها — فيما نظن — من مصر وكريت[٦٦] وأدخلوها جزءاً جزءاً فى « صور » و « صيدا » و « بيبلوس» Byblos ، ثم أصدروها إلى كل مدينة من مدن البحر الأبيض المتوسط ؛ وهكذا كانوا سماسرة لأحرف الهجاء يأخذونها من أصحابها ليذيعوها ، ولم يكونوا مبدعيها حتى إذا ما كان عصر هومر ، كان اليونان يأخذون هذه الأحرف الفينيقية — أو قُلْ الأحرف التى اتحد فى خلقها الآراميون جميعاً — وكانوا يطلقون عليها الاسمين الساميَّيْن للحرفين الأوَّلين (وهما : ألفا ، بيتا ؛ وبالعبرية أليفْ ، بيت)[٦٧] .

فالظاهر أن الكتابة من نتائج التجارة ، وهى إحدى وسائل التجارة المسهِّلة لأمورها ، فهاهنا أيضا ترى الثقافة كم هى مدينةٌ للتجارة ؛ ذلك أنه لما اصطنع الكهنـــة لأنفسهم مجموعة من رسوم يكتبون بها عباراتهم السحرية والطقوسية والطبّية ، اتحدت الطائفتان : الدنيوية والدينية ، وهما طائفتان متنازعتان عادة ، اتحدتا مؤقتاً لتتعاونا على إخراج أعظم ما أخرجته الإنسانية من مخترعاتها منذ عرف الإنسان الكلام ؛ نستطيع أن نقول إن تطور الكتابة هو الذى كان يخلق الحضارة خلقاً ، لأن الكتابة هيأت وسيلة تسجيل المعرفة ونقلها كما كانت وسيلة لازدهار العلم وازدهار الأدب ، وانتشار السلام والنظام بين القبائل المتنافرة ، لكنها متصلة على تنافرها ، لأن استخدام لغة واحدة أخضعتها جميعاً لدولة واحدة ؛ إن بداية ظهور الكتابة هى الحدُّ الذى يُعيِّن بداية التاريخ ، تلك البداية التى يتراجع عهدها كلما اتسعت معارف الإنسان بآثار الأولين .

٣ ـ المدنيّات المفقودة

پولينزيا — أطلانطس

ما دمنا الآن قد دنونا من تاريخ الأمم المتحضرة ، فلا بد لنا أن نلاحظ أننا سنكتفى من كل ثقافة نعرضها بجزء يسير نختاره منها ، وليس ذلك فحسب، بل قد لا نتناول بوصفنا إلا عدداً قليلا من المدنيّات التى يجوز أن تكون قد قامت قوائمها يوماً على الأرض ؛ فليس فى وسعنا أن نُصِمَّ آذاننا فلا نسمع هذه الأساطير التى لم تنقطع روايتها طوال عصور التاريخ ، عن مدنيات كانت ذات يوم عظيمة عالية الثقافة ، ثم حلت بها كارثة من كوارث الطبيعة أو الحرب فحطمتها تحطيما لم يُبْقِ منها ولم يَذَرْ ، فإن حفائرنا الحديثة فى مدنيّات كريت وسومر ويقطان تدل كلها على مدى احتمال الصدق فى هذه الأساطير

فى المحيط الهادى آثار مدنيّة واحدة على الأقل من هذه المدنيّات الضائعة ؛ فالتماثيل الضخمة فى جزيرة « إبستر » ، وما يرويه الرواة فى پولينزيا عن أمم قوية ومقاتلين أبطال كانوا ذات يوم يكتبون المجد لساموا وتاهيتى ؛ ثم ما لسكانها من قدرة فى الفن وحساسية فى الشعر ، كل ذلك يدل على مجد ذاهب ، يدل على شعب لا يبدأ اليوم نهوضه ليأخذ فى الحضارة ، بل يتدهور من منزلة عالية كان ينزلها ؛ وفى قاع المحيط الأطلسى ، يمتد جزء مرتفع تحت الماء(*) من ايسلنده شمالا إلى القطب الجنوبى ، فينهض دليلا جديدا يؤيد هذه الأسطورة التى نقلها إلينا أفلاطون(٦٨) فى صورة جذابة خلابة الأسطورة التى تروى عن حضارة ازدهرت يوما على قارة محاطة بالماء بين أوروبا وآسيا ، ثم ضاعت بين عشية وضحاها حين ارتجّت الأرض ارتجاجا فابتلع اليمُّ تلك القارة فى جوفه ابتلاعا ؛ ويعتقد « شليمان »

(*) هنالك هضبة تحت سطح البحر بمسافة تتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف متر ، تمتد وسط المحيط الأطلسى من الشمال إلى الجنوب ، تحيط بها من الجانبين أعماق من الماء تتراوح من خمسة آلاف إلى ستة آلاف متر

ـ الذى بعث طروادة بعد موت ـ أن قارة أطلنطس كانت بمثابة حلقة اتصال بين ثقافتى أوروبا ويقطان ، وأن مصر كانت قد استمدت حضارتها من أطلنطس هذه(٦٩) ولعل أمريكا نفسها أن تكون هى أطلنطس وأنها كانت ذات حضارة قديمة متصلة بحضارات أفريقيا وأوربا فى العصر الحجرى الحديث ؛ ويجوز أن كل كشف جديد يقع عليه الإنسان اليوم ، هو كشف للمرة الثانية ، سبقه فى العصر السالف كشف أول .

لا شك أنه من الجائز — كما ظن أرسطو — أن يكون العالم قد شهد مدنيات كثيرة ، وصلت إلى كثير من المخترعات وأسباب الترف ثم أصابها الدمار وزالت من ذاكرات البشر ؛ ويقول « بيكُنْ » عن التاريخ إنه حطام سفينة ، إذ ضاع من الماضى أكثر مما بقى ؛ وإننا لنجد العزاء عن هذا الضائع فى الرأى القائل بأنه كما أن ذاكرة الفرد لا بد أن تنسى الجزء الأعظم مما يصادفه فى خبرته من حوادث ، لكى يحتفظ الفرد بقوته العاقلة ، فكذلك الجنس البشرى كله لم يحتفظ فى تراثه إلا بأنصع وأقوى ما مَرّ به من تجارب ثقافية — أم هل استمد هذا المحفوظ نصوعه فى الذاكرة وقوته لأنه وحده ما أجادت الذاكرة الاحتفاظ به ؟ — ومهما يكن من أمر تراثنا الذى نعيه ، فحتى لو لم يكن إلا عُشْر ما مَرّ بالإنسان من تجارب ، فليس فى وسع إنسان أن يلمّ به كله ؛ وسنجد قصة الإنسان رغم ذلك كله مليئة مترعة بما يكفى .

٤ — مهود المدنيّة

آسيا الوسطى — أناو — خطوط الانتشار

إنه من المناسب أن نختم هذا الفصل الذى ملأناه بأسئلة لا يمكن الجواب عنها ، بهذا السؤال : « أين بدأت المدنية ؟ » — وهو كذلك سؤال يعزّ على الجواب ؛ فلو أخذنا بما يقوله الحيولوچيون الذين يعنون فى أبحاثهم عما قبل التاريخ بضباب أين منه شطحات الميتافيزيقا ؛ لو أخذنا بما يقولونه ، لكانت المناطق

القاحلة فى آسيا الوسطى ذات ماضٍ فيه ماء وفيه اعتدال فى حرارة الجو ، وفيه ما يُزْهره من بحيرات عظيمة وأنهار كثيرة(٧٠) ، تراجعت عنها آخر الموجات الجليدية ، فجفّتْ شيئا فشيئا حتى لم يعد ما يسقط على ذلك الإقليم من مطر كافيا لقيام المدن والدول ؛ فأخذت المدائن تقفر من أهلها واحدة ، فى إثر واحدة ، حين هرب الناس غربا وشرقا وشمالا وجنوبا سعيا وراء الماء ؛ ولا تزال ترى أنقاض مدن مثـــل « باكترا » Bactrai غائصة فى الصحراء إلى نصفها — ولا بد أن تكون « باكترا » هذه قد ازدحمت بسكانها فى مساحتها التى يمتد قطر دائرتها اثنين وعشرين ميلا ؛ ولقد حدث فى عهد جدّ حديث — سنة ١٨٦٨ — أن اضطر عدد من أهل تركستان الغربية يقرب من ثمانين ألف نسمة ، أن يهاجر لأن الرمال الزاحفة قد غمرت موضعه من الأرض(٧١) وكثيرون يذهبون إلى أن هذه الأصقاع التى تسير اليوم فى طريقها إلى الفناء ، قد شهدت أول خطوة أساسية من خطوات التقدم ، فى هذا المزيج المؤلف من نظام وطعام وعرف وأخلاق وترف وثقافة ، والذى منه تتكون المدنيّة(٧٢) .

ولقد كشف « پمْبِلى » سنة ١٩٠٧ فى « أناو » جنوبى التركستان ، عن خزف وآثار أخرى تدل على ثقافة قديمة أرجعها إلى سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد ، وربما أسرف فى تقديره هذا فزاد أربعة آلاف(٧٣) ؛ وها هنا نجد زراعة القمح والشعير والذرة ، واستخدام الناس واستئناس الحيوان ، وزخرفة الفخار بزخارف بينها من التشابه فى قواعد الرسم ما يدل على أنهم كانوا قد جمعوا تقاليد وبطانة فى الفنون لعدة قرون سلفت(٧٤) والظاهر أن ثقافة تركستان سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد كانت قد قطعت من الزمن أشواطا ؛ وربما كان بينهم إذ ذاك مؤرخون يضربون فى أعماق ما ضيهم عبثاً للبحث عن أصول المدنية ، وفلاسفة أخذوا يندبون بعبارة فصيحة ما أصاب الجنس البشرى إذ ذاك من تدهور كان يؤدى به إلى الموت .

ولو اهتدينا بالخيال حيث يعزّ علينا العلم الصحيح ، لقلنا إنه من هذا المركز

هاجر الناس — يلوذون فراراً مما أصاب أرضهم من جفاف فى المطر وجفاف فى تربة الأرض — فساروا فى اتجاهات ثلاثة ، يحملون معهم ما لهم من فن ومدنية ؛ فبلغت فنونهم — إن لم يبلغوا بفصيلتهم — أرض الصين ومنشوريا وأمريكا الشمالية من جهة الشرق ؛ وبلغت شمال الهند فى سيرها إلى الجنوب ؛ ثم أدركت فى طريقها نحو الغرب بلاد « عيلام » و « سومر » ومصر ؛ بل إيطاليا وأسبانيا كذلك(٧٥) ؛ فقد وجدت فى « سوزا » وهى فى « عيلام » القديمة (فارس الحديثة) آثار تشبه فى نمطها آثار « أناو » شبهاً يكاد يبرر للخيال الذى يعيد قوته صورة الماضى ، أن يفترض أنه قد كان بين « سوزا » و « أناو » صلات ثقافية فى فجر المدنية (أى حول سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد)(٧٦) وكذلك يوجد شَبَهٌ كهذا فى الفنون والمنتجات القديمة يوحى بوجود علاقة كهذه بين بلاد ما بين النهرين ومصر فيما قبل التاريخ ، وبوجود ارتباط يدل على اتصال مجرى المدنية .

ويستحيل علينا أن نعلم علم اليقين أى هذه الثقافات جاء أولا ، وليس ذلك بكبير الأهمية ، لأنها جميعاً كانت فى جوهرها أفراد أسرة واحدة ونمط واحد ، فلو كان لنا أن نخالف الرأى الشائع الذى اكتسب احتراما لقِدَمه ، بحيث نضع « عيلام » و « سومر » قبل مصر ، فلسنا نصدر فى ذلك عن عبث يريد مخالفة المعروف لذاتها ، لكننا نعتمد على الحقيقة التى تدل على أن عمر هذه المدنيات الأسيوية ، إذا قيس إلى مدنيات أفريقيا وأوروبا ، يمتدّ طولا كلما ازداد علمنا نتلك المدنيات عمقا ؛ فحجاريف علماء الآثار بعد أن قضت قرنا كاملا فى بحثها المظفّر على ضفاف النيل ، انتقلت فى سيرها عَبْرَ السويس إلى جزيرة العرب وإلى فلسطين وبين النهرين وفارس ، وهى كلما خَطَتْ فى طريقها هذا ، ازددنا ترجيحا مع تزايد المعرفة التى تعود علينا من أبحاثنا ، أن الدلتا الخصيبة للأنهار التى تجرى فى أرض الجزيرة (ما بين النهرين) هى التى شهدت أول مناظر المسرحية التاريخية للمدنية الإنسانية ، فيما نعلم .

المراجع *

1. Supplement to *Essai sur les moeurs*; quoted by Buckle, H. T., *History of Civilization*. i, 581.

الباب الأول

2. Robinson, J. H., art. Civilization, *Encyclopedia Britannica*, 14th ed.

الباب الثانى

1. Spengler O., *The Decline of the West; The Hour of Decision*.
2. Hayes, *Sociology*, 494.
3. Lippert, J., *Evolution of Culture*, 38.
4. Spencer, H., *Principles of Sociology*, 1, 60
5. Sumner and Keller, *Science of Society*, i, 51; Sumner, W. G., *Folkways*, 119-22; Renard, G., *Life and Work in Prehistoric Times*, 36; Mason O. T., *Origins of Invention*, 298.
6. Ibid., 316.
7. Sumner and Keller, i 182.
8. Roth, H. L., in Thomas, W. I., *Source Book for Social Origins*, 111.
9. Ibid.; Mason. O. T., 190: Lippert, 165.
10. Renard, 123.
11. Briffault, *The Mothers*, ii, 460.
12. Renard, 35.
13. Sutherland, G.A., ed, *A System of Diet and Dietetics*, 45.
14. Ibid: 83-4 : Ratzel, F., *History of Mankind*, i, 90.
15. Sutherland, G.A., 43,45, Müller Lyer, F., *History of Social Development*, 70.
16. Ibid., 86.
17. Sumner, *Folkways*, 329 : Ratzel, 129 : Renard, 40-2; Westermarck, E., *Origin and Development of the Moral Ideas*, i, 558-62.
18. Sumner and Keller, ii, 1234.
19. Sumner, *Folkways*, 289.
20. Renard, 40-2
21. Sumner and Keller, ii, 1230.
22. Briffault, ii, 999.
23. Sumner and Keller, ii, 1234.
24. Cowan, A. R., *Master Clues in World History*, 10.
25. Renard, 39.
26. Mason, O.T., 23.
27. Briffault, I, 461-5.
28. Mason, O. T., 224 f.
29. Müller-Lyer *Social Development*, 102.
30. Ibid., 144-6.
30a. Ibid.. 167; Ratzel 87.
31. Thomas, W. I., 113-7 Renard, 154-5, Müller, Lyer, 306 Sumner and Keller, i, 150-3.
32. Sumner, *Folkways*, 142.
33. Mason, O.T., 71.
34. Müller-Lyer, *Social Development*, 238-9, Renard, 158.
35. Sumner and Keller, i, 268-72.

(*) سنثبت اسم الكتاب كاملا عند أول وروده فى هذه القائمة ثم نكتفى بعد ذلك بذكره مختصراً.

300, 320; Lubbock, Sir J., *Origin of Civilization* 373-5; Campbell, Bishop R., in New York *Tlmes*, 1-11-33.

36. Bücher, K., Industrial Evolution, 57.
37. Kropotkin, Prince P., *Mutual Aid*, 90.
38. Mason, O. T., 27.
39. Sumner and Keller, i, 270-2.
40. Briffault, ii, 494-7.
41. Sumner and Keller, i 328 f.
42. Lippert, 39.
43. *A Naturajist's Voyage Around the World*, 242, in Briffault, if, 494.
43a. Westermarck, *Moral Ideas in* 35-42.
44. Hobhouse, L. T., *Morals* in *Evalution*, 244-5; Cowan, A. R., *Guide to World History*, 22; Sumner and Keller, i, 58.
45. Hobhouse, 272.

الباب الثالث

1. Sumner and Reller, i, 16, 418, 418, 461; Westermarck, *Moral Ideas*, i, 195-8.
2. Sumner and Keller, i, 461.
3. Rivers, W. H. R., *Social Organization*, 166.
4. Briffault, ii, 394, 494; Ratzel, 183; Sumner and Keller, 470-3
5. Ibid., 463, 473
6. Ibid., 370, 358.
7. Renard, 149 Westermarck, *Moral Ideas*, ii, 886-9, Ratzel, 130, Hobhouse, 239, Sumner and Keller, i 18, 22, 366, 392, 394. 718.
8. Nietzche, *Genealogy of Morals*, 103.
9. American *Journal of Sociology*, March, 1905.
10. Oppenheimer, Franz, *The State*, 16.
11. In Ross. F. A. *Social Control*, 50.
12. In Sumner and Keller, J, 704.
13. Ibid, 709.
14. Oowan. *Guide to World History*, 18 f.
15. Sumner and Keller, i, 486.
16. Spencer, *Sociology*, iii, 316.
17. Ibid, 66.
18. Melville, *Types*, 222, in Briffault, ii, 356.
19. Briffault, ibid.
20. Sumner and Keller, i, 687.
21. Lubbock, 330.
22. Hobhouse, 73-101, Kropotkin, *Mutual Aid*, 131; Thomas, W I., 301.
23. Sumner and Keller, I, 682-7.
24. For examples cf. Westermarck. *Moral Ideas*, i, 14-5, 20.
25. Lubbock, 363-7; Sumner and Keller, i, 454, Briffault, ii, 499; Maine, Sir H., *Anthropology and Modern Life* 221.
26. Sutherland, A. *Origin and Growth of the Moral Instincts*, i, 4-5.
27. Sumner and Keller, iii, 1498, Lippert, 75, 659.
28. Sumner and Keller, iii, 1501.
29. Ibid., 1500, Renard, 198, Briffault, ii, 518, 434.
30. Vinogradoff, Sir P., *Outlines of*

Historical Jnirsdrndence, i, 212, Briffault, i. 503, 513.

31. Sumner, *Folkways*, 364.

32. Briffault, i, 508-9, Sumner and Keller, 540, iii, 1949, Rivers, *Social Organization*' 12.

33. Moret and Davy, *From Trbie to Empire*, 40, Brilfanlt, i, 308 Müller-Lyer, *The Fa ily*, 1 24-7, Sumner and Keller, iii, 1939.

34. White, E. M, *Woman in World History*, 35, Briffault, i, 309, Lippert. 223, Sumner aud Keller, iii, 1990.

35. Hobhouse. 170.

36. Müller-Lyer, *Family*, 118.

37. Ibid., 232,

38. Sumner and Keller, iii, 1733.

39. Lubbock, 5.

40. Müller-Lyer, *Evolution of Modern Marriage*, 112.

41. Briffault, i, 460, Reuard, 101.

42. Briffanlt, i, 466, 478, 484, 509.

43 Ellis, H., *Man and Woman*, 316 Sumner, and Keller, i, 128.

44. Ibid., iii, 1763, 1813, Ratzel, 134, Westermarck, *Moral ideas* i, 235.

45 Lubbock, 67.

46. Lubbock in Thomas, W. I, 108.

47. Westermarch, *Moral Ideas*, ii 470, 629,

48. Crawley, E., The Mystic Rose, in Thomas, W. I, 515-7, 525.

49. Westermarck, *Moral Ideas*, II, 638-46, Sumner and Keller, iii, 1737.

50. Ibid., 1753.

51. Vinogradoff, i, 197, Müller-lyer *Sociail Development*, 208.

الباب الرابع

1. Darwin, C., *Descent of Man* 110.
2. Ellis. H., *Studies in the Psychology of Sex*, vi, 422.
3. Westermarck, E., *History of Hnman Marriage*, i, 32, 35.
5. Sumner and Keller, iii, 1647 f. Further examples of sexual communism may be found in Briffault, i, 645, ii, 2-13, Lubbock, 68-9.
6. Müller-Lyer, *Family*, 55.
6a. *Encyclopedia Britannica*, xiii, 206.
7. Sumner and Keller, iii, 1548.
8. Briffault, ii, 81.
9. Lubbock, 69.
10. Lippert, 67.
11. Polo, Marco, *Travels*, 70.
12. Letourneau, *Marriage*, in Sumner and Keller, iii, 1531.
13. Westermarck, *Short History of Human Marriage*, 265, Müller-lyer, *Family*, 49, Sumner and Keller, iii, 1563, Briffault, i, 629 f.
14. ibid., 649.
15. Sumner and Keller, iii, 1565.
16. Examples in Briffault, i, 767u, Sumner and Keller iii, 1901, Lippert. 679.
17. Examples in Briffault, i, 641 f, 663, Vinogradoff, i, 173. Vinogradoff, i, 173.
18. Westermark, *Moral Ideas*, i, 387.
19. Briffault, ii, 315, Hobhouse, 140.
20. Müller-Lyer, *Modern Marriage* 3[illegible]

21. Spencer, *Sociology*, i, 722; Westermark, *Moral Ideas*. i, 388; Sumner *Folkways*, 265, 351, Sumner and Keller. i, 22, iii. 1863, Briffault, ii, 261, 267, 271.
22. Lowie. R.H., *Are We Civilized?*, 128.
23. Sumner and Keller, iii, 1534, 1540, Westermarck, *Moral Ideas*, i, 399.
24. Gen., xxix. Similar customs existed in Africa. India and Anstralia, cf. Müller-Eyer, *Modern Marriage*, 123,
25. Sumner and Keller, iii, 1625-6, Vinogradoff, 209, further examples in Lubbock, 91, Müller-Lyer, *Family*, 86, Westermarck, *Moral Ideas*, i, 435.
26. Briffault, i, 244f.
26a. Lippert, 295, Müller-Lyer, *Social Development*, 270.
27. Sumner and Keller, iii, 1631. Briffault interprets this wedding Custon as a reminiscence of the transition from matrilocal to patriarchal marriage-i, 240-50.
28. Hobhouse, 158.
29. Sumner and Keller, iii, 1629.
30. Briffault, ii, 244.
31. Müller-Lyer, *Modern Marriage*, 125.
32. Hobhouse 151, Westermarck, *Moral Ideas*. 1650.
i, 388, Sumner and Keller, 1650.
33. Ibid., 1648.
34. Ibid., 1619. Herodotus (I, 196) reported a similar custom in the fifth century B. C., and Burckhardt found it in Arabia in the nineteenth century (Müller-Lyer, *Modern Marriage*, 127).
35. Briffault, i, 219-21.
36. Lowie, *Are We Civilized ?*, 125.
8 . Briffavlt, ii, 215.
38. Sumner and Keller, iii, 1658.
39. In Lubbocb, 53.
40. Ibid., 45 7, Sumner and Keller, iii. 1608 - 8, Briffault, ii, 141-3.
41. Müller - Lyer, *Modern Marriage*, 51.
43. Briffault, ii, 70 f.
44. Briffault, ii, 2-13, 67, 70-2. Brif fault has gathered into a ten-page footnote the evidence for the wide spread of premarital sexual freedom in the primitive world. Cf. also Lowie. *Are We Civilized ?* 123, and Sumner and Keller, iii, 1553-7.
45 Ibid., 1556, Briffault, ii, 65, Westermarck, 1, 441.
46 Lowie, 127.
47. Briffault, iii, 313, Müller-lyer, *Modern Marriage*, 32.
48. Briffault ii, 222-3, Westermarck, *Short History*, 13.
49. Sumner and Keller, iii 1682, Sumner, *Folkways*, 358.
50. Ibid., 361, Samner and Keller, iii, 1674.
51. Ibid., 1554, Briffault, iii, 344.
52. S & K, iii, 1682.
52a. For examples cf. Westenmarck. *Human Marriage*, i, 530-45, or Müller - Lyer *Modern Marriage*, 39-41.
53. Müller-Lyer, *Social Development*, 132-3, Sumner, *Folkways*, 439.
54. Briffault, iii, 260 f.
55. Ibid., 307, Ratzel, 93.

56, Sumner, *Folkways*, 450.
57. Reinach, *Orpheus*, 74.
58. cf. Briffault, ii, 112-7, Vinogradoff, 173.
59. S. & K., iii, 1528.
60. Ibid., 1771.
61, Ibid., 1677-8.
62. Ibid., 1831.
63. Quoted in Briffault, ii, 76.
64. Ibid., S & K, iii, 1831.
65. Müller-Lyer, *Family*, 102.
66. S & K, iii, 1890.
67. Ibid; Sumner, *Folkways*, 314, Briffault, ii, 71, Westermarck, *Moral Ideas*, ii, 413, E. A. Roût, "Sex Hygiene of the New Zealand Maori" in *The Medical Journal and Record*, Nov. 17, 1926, *The Birth Control Review*, April, 1932, p. 112.
68. Westermarck, *Moral Ideas*, ii, 394-401.
69. Lowie, *Are We Civilized?* 138.
70. Müller-Lyer, *Family*, 104.
71. S & K, i, 54.
72. Briffaulf, ii, 391.
73. Renard, 135.
74. Westermarck, *Moral Ideas*, ii, 383.
7 . Ibid., i, 290, Spencer, *Sociology*, i, 46.
76. Westermarck, *Moral Ideas*, i, 88, S & K, i, 336.
77. Kropotkin, 90.
78. Lowie, *Are We Civilized?*, 141.
79. Instances in Thomas, W. I., 108, White, E. M., 40, Briffault, i, 453, Ratzel, 135.
80. Westermarck, *Moral Ideas*, ii, 482, 678.
81. Hobhouse, 79, Briffault. ii, 353.
82. Ibid., 185.
83. Thomas, W. I., 154.
84. Examples in S & K, i, 641-3.
85. Briffault, ii, 148-4.
86. Ibid., 500-1, Kropotkin, 101, 105; Westermarck, *Moral Ideas*, ii, 539-40, Lowie, 141.
87. Hobhouse, 29; Spencer, *Sociology*, i, 69, Kropotkin, 90-1.
88. Müller-Lyer, *Modern Marriage*, 26; Briffault, i, 636.
89. Ibid., 740.
90. Müller-Lyer 31.
91. Lowie, 164.
92. Westermarck, *Moral Ideas*, i, 150-1, Sumner, *Folkways*, 460.
93. Ibid., 454.
94. Ibid., 13 S & K, i, 358.
95. Kropotkin, 112-3, Briffault, ii, 357, 490, S & K, i, 659, Westermarck, ii, 556.
96, Strabo, *Geography*, 1, 2, 8.
96a. S & K, ii, 1419.
96b. Ibid.
96c. Briffault, ii, 510.
96d. Lippert, 6.
96e. Briffault, ii, 508.
97. Williams, H. S., *History of Science*, i, 15.
98. Briffault, ii, 645.
99. Ibid., 657.
100. S & K, ii, 859; Lippert 115.
101. *Brihadaranyaka Upanishad*, iv., 3: Davids, T. W. Rhys, *Buddhist India*, 252; Deulsen, Paul, *The Philosophy of the Upanishads*, 302.
102. Carpenter, Edward, *Pagan and Christian Creeds*, 80.
103. Powys, John Cowper, *The Meaning of Culture*, 180.
104. Briffault, ii 577, 583-92, 632.

105. Ibid., 147; Carpenter, 48.
106. Jung, C. G., *Psychology of the Unconscious*, 173.
107. Allen. G., *Evolution of the Ideas of God*, 237.
108. Briffault, ii, 508-9.
109. Frazer, Sir J. G., *The Golden Bough*, i-v ed., 112, 115.
110. De Morgan, Jacques, *Prehistoric Man* 249.
111. Frazer, *Golden Bough*, 165-7.
112. Jung, 173.
113. Briffault, iii, 117.
114. Ibid., ii, 592.
115. Ibid., 481.
116. Reinach, 19.
117. Freud, S. *Totem and Taboo.* For a criticism of the theory cf. Goldenweiser, A. A., *History, Psychology and Culture*, 201-8.
118. Durkheim, E., *Elementary Forms of the Religious Life.*
119. Briffault, ii, 468.
120. Reinach, *Orpheus*, 1909 ed., 76, 81; Trade, G., *Laws of Imitation* 273-5; Murray, G., *Aristophanes and the War Party*, 23, 37.
121. Spencer, *Sociology*, *i*, 406; Frazer, *Golden Bough*, vii.
122. Reinach, 1909 ed., 80.
135. Ibid.
123. Allen , 30.
124. Examples in Lipprt, 103.
125. Smith, W. Robertson, *The Religion of the Semites*, 42.
126. Hoernle, R. F. A., *Studies in Contemporary Metaphysics*, 181
127. Reinach (1909), 111.
128. Frazer, *Golden Bough*, 13.
129. Frazer, *Adonis, Attis, Osiris*, 356.
130. Briffault, iii, 196.
131. Ibid., 199.
132. Frazer, *Golden Bough*, 337, 432; Allen, 246.
133. Georg. E., *The Adventure of Mankind*, 202.
134. S & K, ii, 1252.
135. Ibid.
136. Sumner, *Folkways*, 336-9, 553-5.
137. Ibid., 337; Frazer, *Golden Bough*, 489.
138. Westermarck, *Moral Ideas*, 373, 376, 563
139. Ratzel, 45.
140. Reinach, 1930 ed., 23
141. Ratzet, 133.
142. 2 Sam. vi, 4-7.
143. Diodorus Siculus, *Library of History*, 1, lxxxiv.
144. Briffault, ii, 366, 387.
145. Sumner, *Folkways*, 511.

الباب الخامس

1. Ratzel, 34; Müller-Lyer, *Social Development*, 50-3, 61.
2. Ibid., 46-9, 54; Renard, 57; Robinson, J. H., 735 740; France, A., *M. Bergeret a Paris.*
3. Lubbock, 227, 339, 342f.
4. Müller, Max, *Lectures on the Science of Language*, i, 360.
6. Tylor, E. B., *Anthropology*, 125,
6. Müller, *Science of Language* i, 265, 303n; ii 39.
7. Venkateswara, S. V., *Indian Culture through the Ages*, Vol. I., *Education and the Propagation of Culture*, 6; Ratzel, 31.
8. White W. A., *Michanisms, of Character Formation*, 83,
9. Lubbock, 353-4

10. Briffault, i, 106.
11. Ibid., 107; Russell, B., *Marriage and Morals*, 243.
12. S & K i, 654.
13. Briffault, ii, 190.
14. Ibid., 192-3.
15. Lubbock, 35.
16. Maspero, G., *Dawn of Civilization*, quoted in Mason, W. A., *History of the Art of Wrtiing*, 39.
17. Lubbock, 299.
18. Masson, W.A., ch. ii ; Lubbock, 35.
19. Masson, W. A., 146-54.
20. Briffault. i, 18,
21. Speneer, *Sociology*, iii, 218-26.
22. Mason, W. A., 149; further Examples in Lowie, 202.
23. Spencer, *Sociology*, iii, 247 f.
24. Tylor, *Primitive Culture*, I, 243-8, 261, 266, Lubbock, 299.
25. Thoreau, H. D., *Walden*.
26. Briffault, ii, 601.
27 Mason, O.T., in Thomas, *Source Book*, 366.
28. Briffault, 485.
29. Examples in Lowie, *Are We Civilized ?*, 250.
29a. Matt., viii., 28.
30. Lowie, 250, S & K, ii, 979, Spencer, *Sociology* iii, 194, Garrison, F. H., *History of Medicine*, 22, 33, Harding, T. Swann, *Fads, Frauds and Physicians*, 148.
31. Garrison, 26.
32. Marett, H. R., *Hibbert Jounal*, Oct. 1918, Carpenter, *Pagan and Christian Creeds*, 167.
33. Lowie, 247.
34. In Garrison, 45.
35. Briffault, *ii*, 157-8, 162-3.
36. Darwin, *Descent of Man*, 660.
37. Briffault, ii. 176.
38. Spencer, i, 65, Ratzel, 95,
39. Grosse, E, *The Beginnings of Art*, 55-63, Pijoan, J,, *History of Art*, i, 4.
40. Grosse, 58.
41. Renard, 91.
42. Lvbbock, 45.
43. Ratzel, 105.
44. Lubbock, 51 ; Grosse, 80.
45. *Source Book*, 555.
46. Grosse, 70, Lubbock, 46-50.
47. Georg, 104.
48. Grosse, 81.
49. Briffault. ii, 161.
50, Grosse, 83.
51. Ratzel, 95.
52. Müller-Lyer, *Social Development*, 142.
53. Grosse, 85.
54. Ibid.
55. Briffault, ii, 297.
56. Ratzel in Thomas, *Source Book*, 557.
57. Lowie, 80,
58. Sumner *Folkways*, 187.
59. *Enc. Brit.*, xviii, 873.
60. Mason, O. T.. 156, 164.
61. Ibid., 25.
62. Pijoan. i, 12.
63. Ibid., 8.
64. Spencer, iii. 294-304, Ratzel, 47.
65. Renard, 56.
66. Pratt, W. S., *The History of Music*, 26-31.
67. Grosse, E., in Thomas, *Source Book*, 556.

الباب السادس

2. Osborn H. F., *Men of the Old Stone Age*, 28.
3. N. Y. *Times*, July 31. and Nov. 5, 1931.
4. Lull, *The Evolution of Man*, 26.
5. Sollas, W. J., *Ancient Hunters*, 438-42.
6. Keith, Sir A., N.Y. *Times*, Oct. 12, 1930.
7. De Morgan, *J.*, *Prehistoric Man*, 57-8.
8. Pittard, Eugene, *Race and History*, 70.
9. Keith, *l. c.*
10. Pittard, 311, Childe, V. G., *The Most Ancient East*, 26;
11. Andrews, R. C., *On the Trail of Ancient Man*, 309-12.
12. Skeat. W. M., *An Etymological Dictionary of the English Language*, 252, Lipperi, 166.
14. Osborn, 270-1.
15. Lippert, 133.
16. Lowie, *Are We Civilized ?*, 51.
17. Müller Lyer, *Social Development*, 99, Lippert, 130, S & K, i, 191.
18. Bulley. M., *Ancient and Medieval Art*, 14.
19. De Morgan, 197.
20. Spearing, H. G., *The childhood of Art*, 92, Bulley, 12.
21. Osborn fig 166
22. N. Y. *Times*, Jan. 22, 1934
23. Bulley, 17
24. Spearing, 45
26. Renard, 86
27. Rickard, T.A., *Man and Metals*, i, 67.
28. De Morgan, x.
29. Ibid., 169; Renard, 27.
30. De Morgan, 172, fig. 94.
31. Pitkin, W.B., *A Short Introduction to the History of Human stupidity*, 53.
32. Carpenter, E., *Pagan and Christian Creeds*, 74; Lowie, 58, Ratzel in Thomas, *Source Book*, 93.
33. Lowie, 60.
34. Febure, L., *A Geographical Introduction to History*, 261.
35. Rickard, i, 81, Schneieer, H., *The History of World Civilization*, i, 20.
36. Breasted, J. H., *Ancient Times*, 29.
37. Renard, 102.
38. De Morgan, 187.
39. Mason, O. T., *Origins of Invention* 154.
40. E .g. De Morgan, 226, fig. 135.
41. Renard, 79
42. Lowie, 114, De Morgan, 269.
43. Renard, 112, Rickard, i, 77.
44. Georg, 105.
45. De Morgan 235, 240, Renard, 27 Childe, V. G., *The Dawn of European Civilization*, 129-38, Georg, 89.
46. Schneider, H., i, 23-9.
47. Ibid., 30-1.
48. Garrison, *History of Medicine*, 28, Renard 190.
49. Ricard, i, 84.
50. Ibid., 109, 141.
51. Ibid., 114.
52. Ibid., 118.
53. Rostovtzeff, M., in Coomaras-

wamy, A. K., *History of Idian Indonesian Art*, 3.

54. *Cambridge Ancient History*, i, 103.
55. De Morgan, 126.
56. Rickard. i, 169 - 70; De Morgan, 91.
57. Rickard, i, 85-6.
58. Ibid., 86.
59. Ibid., 141-7; Renard, 29-30.
60. Mason, W. A. *History of Writing*, 313.
60a. CAH *Cambridge Ancient History*) i, 876.
61. Petrie, Sir W. F', *The Formatiou of the Alphabet*, in Mason, W. A., 329.
62. *Encyc. Brit*, i, 680.
63. Tylor, *Anthropology*, 168.
64. De Morgan, 257.
65. Breasted, *Ancient Times*, 42, Mason, W. A., 210, 321.
66. Ibid., 381.
67. *Encyc. Brit.*, i, 681.
68. Plato, *Timaeus*, 25, *Critias*, 113.
69. Georg, 228.
70. Childe *The most Ancient East*, 21-6.
71. Georg, 51.
72. Keith, Sir A., N. Y. *Times*, Oct. 12, 1930; Buxton, L. H. D., *The peoples of Asia*, 88.
73. CAH, i, 579.
74. Ibid., 86, 96-1, 362.
75. Keith, I. e., Briffault, ii 507, CAH, i, 362, Comaraswamy, *History*, 3.
76. CAH, i, 85-6.

فهـــرس الأعلام

(ا)

إبراهيم : ١١٤
إبسن : ١٠١
أبوينا (قبيلة) : ١٠٤
أبيقور : ٩٨
أبيكوتا (قبيلة) : ١٤٥
أپيبون (قبيلة) : ٨٨ ، ٩٨
أثينا
أراكوا (قبيلة) : ٢٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ١٠٦ ، ١٣٨
أراپاهو (قبيلة) : ١٢٤
أرثركيث (سير) : ١٧٢
أرسطو : ٣٧
أريبج (فى فرنسا) : ١٦٧
أزاتقة : ١٧
أسام : ٥٨ ، ٨٠
استراليا : ١١ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٥١
اسخيلوص : ١٦٤
اسكيمو : ١١ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٤٨
اشتر (إله) : ١٠٥
أشور : ١٠٦
أشولى (عصر حجرى) : ١٥٩
افجنيا (فى أساطير اليونان) : ١١٤
افروديت (إلهة) : ١٠٥
الجريكو (فنان) : ١٦٧
الجونكن (قبيلة) : ٧٧ ، ١٣١
الألب (جبال) : ١٥٦
التاميرا : ١٦١٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦
الألوت (قبيل) : ١٢٦
ألفرد رسل ولاس : ٤٨
الألوشيون (قبيلة) : ٢٥ ، ٢٨
ألونسودى أوجدا : ١٧٠
ألْيَتْ شمث : ١٥٧
أناتول فرانس : ٨٣
أناطنة (جمع أنطون) : ٧
أناقارسيس اليونانى : ٨٣
أنا كسجوراس : ١٠٣
أنتا فرنيز : ٥٨
أنتجونا : ٥٨
أنجولا : ٧١
أنجور : ١٥٤
أندرو : ١٦١
أندرو شمث (سير) : ١٤٣
أندمان (جزائر) : ٨٠ ، ١٤٨٠
إنكا : ٧٣
أوپنهيمر : ٤٤
أوتيل ديبه (مستشفى فى باريس) : ١٣٩
أوجيوا (هنود) : ١٠٦
أور : ١٧١
أورجناسى : (عصر حجرى) : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٧
أورانج : ٦٦
أورانج ساكاى : ٦٨
أورانوس : ١٠١
أورونوكو (هنود) : ٧٥ ، ١٤٦
أوڤد : (شاعر رومانى) ١٠٨
أوقيانوسيا : ٢٦
أوكلاهاما : ١٦٢
أولفر وندل هولمز : (طبيب) : ١٣٩
أونان : ٦٩

إيجوروت (قبيلة فى الفلبين) : ٨٠
إيستر (جزيرة) : ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٨

(ب)

بابار (أرخبيل) : ١١١
بابل : ٤ ، ٦ ، ٢٦ ، ٦٧ ، ١٠٦ ، ١٠٨
پاپوا (قبيلة) : ٥٨ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٧
باجندا : ٤٦
باخوين : ١١٢
باخى : ١١٣
بارونجا (قبيلة) : ١٤٨
بالوندا : ٨٢
بالى : ٨٣
پان (إله عند اليونان) : ١٠١
پانتو (قبيلة) : ١١٢ ، ١١٥
بانجرانج : ٨٨
بايلا (قبيلة) : ٦٨
پپين (فى الصين) : ١٥٧ ، ١٦٢
بترى : ١٨١ ، ١٨٢
البدارى (فى مصر) : ١٧٧
البرازيل : ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٦٩
البرانس (جبال) : ١٥٦
البرتغال : ١٦٩
برچريه (شخصية فى قصة) : ١٢٣
پرسوپولس : ١٥٤
برکليز : ٦٠ ، ١٤٤
برنتن : ٤٨
بروحسيوس : ١٦٤
بريام : ١٥٤
بريطانيا الجديدة : ٢٠ ، ٩٩ ، ١٤٣
بريفو (مؤلف) : ٧٤ ، ١٤٣
بريل (الأب) : ١٥٧
البطالسة : ٧٣٠
پكين : ٦ ، ١٥٧
بلپونيز : ١٠٣
پلنداون (فى انجلترا) : ١٥٧
بلجيكا : ١٧٣ ، ١٧٤
بلستوسين (عصر حجرى) : ١٥٧ ، ١٦٠
بليو (جزيرة) : ٥٩
پندقية : ٤
بندى (قبيلة) : ٨٨
بنجو (قبيلة) : ١٤٤
بنوك (مؤلف) : ١٤٣
بوتوكودو (قبيلة) : ٦٨ ، ١٤٥
بورما : ٥٨ ، ٨١
بورما العليا : ٨٠
بورنيو : ١٦ ، ٣١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٠
بورودو (قبيلة) : ١٣٨
بوزيدون : ١٠١
البوشمن : ١١ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٨٠
بولس (القديس) : ٣٧
بولينزيا : ١٢ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٨٠ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٧٩
البوئيون (قبيلة) : ١١٣
بومارشيه : ٧٩
بوپبلو (هنود) : ١٤٨
پى (عالم أثرى) : ١٥٧
بيوجت (خليج) : ٤
پيرى (رحالة) : ١١
پيرو : ٦ ، ٣١ ، ٧٥ ، ١٣٨
پيير لوتى (كاتب فرنسى) : ٢٠

(ت)

تابو (التحريم) : ١١٨
تاراهيومارا (قبيلة) : ١٣
تاهيتى : ١٢ ، ٢٠ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ١٣٢

تاييس : ١٤٠
التبت : ٦٨ ، ٧٠
تحوت (إله مصرى) : ١٢٩
ترو بريانك (جزيرة) : ٥٧ ، ٩٣
تسمانيا : ٢٦ ، ٤٠ ، ١٢٥ ، ١٣٤
تشپوا (قبيلة) : ٦١
تشروكى : ٨٦
تشكتو (هنود) : ١٢٥
تشوكوتين (فى الصين) : ١٥٤ ، ١٥٧
تشيتا جونج : ٣١
تشينى (هنود) : ٨٧
تكونا (قبيلة) : ١٢٤
تلنجت (قبيلة) : ١٢
تمبكتو : ٦
تنجيون (قبيلة) : ٤٠
توارج (قبيلة) : ٨١ ، ٨٣
التوجو (قبيلة) : ٧٥
تودا (قبيلة) : ٧٠
تورس (خليج) : ١٤٥

(ث)

ثورو : ١٣٥
ثيودى (الأب) : ٢٥

(ج)

جارنر : ١٢٣
جاك بوشيه : ١٥٤
جاليلى : ١٥٧
جبسلندة : ١٤٥
جرينلندة : ٩٥
الجزويت : ١٤٦ ، ١٦١
جلوكوپس : ١٠٨
جمبلوڤش : ٤٤
جوانج (قبيلة) : ١٦
جوايكورو (قبيلة) : ٨٧
جواپاكيل (هنود) : ١١٣
جوارانى (قبيلة) : ١٣٤
جورجيا الجديدة : ٨٠
جوتييه (شاعر فرنسى) : ١٤٥ ، ١٦٤
جى (إله الأرض عند اليونان) : ١٠١
جيرار (فى فلسطين) : ١٨١
جيورج (مؤلف) : ١٤٥

(ح)

حمورابى : ٥١ ، ٥٣

(خ)

خنزير جادارين (قصة) : ١٣٧

(د)

دارا : ٥٨
دارون : ٣٣ ، ١٠٦ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٦٤
داماترا : ٦٨
دامارا (قبيلة) : ١٣٥
درافيد (قبيلة) : ١٠٦
الدرو ديون (قبيلة) : ١٠٤
دسلدورف : ١٥٧
دلاوير : ٤٠
دلنى : ١٣٢
دلهى : ٦٠
دميتر (إله) : ١٠٥
الدنكا (قبيلة) : ١٠٣
دوردونى : ١٥٨
دوسُن (عالم أثرى) : ١٥٧
دياك (قبيلة) ٢٩ ، ٤١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١١١
ديپون : ١٢٣

ديودورس : ١١٨
دي مورجان : ١٦١
دي كرسپني : ٦٦
ديومديز : ٢٩

(ر)

راتسنهوفر : ٤٤
راشيل : ٧٤
راڤنا : ٦
رتشارد (رحالة) : ١٤٢
رخ — مارا : ١٧٨
رڤرز (أستاذ) : ٣١
روبتهاورن (في سويسرا) : ١٧٧
روديسيا : ١١٤
الروسيا : ٤٨ ، ٦٧
رولى (مؤلف) : ١١٢
روما : ٦
ريكيه (كلب متفلسف في قصة) : ١٢٣
رينانخ : ١٦٦
رينان : ١٢٤

(ز)

الزولو (قبيلة) : ٨٥ ، ٩٩ ، ١١١
زيلندة الجديدة : ٥٣ ، ١٤٤
زيوس : ١٠٤

(س)

ساردينيا : ١٦٩
ساڤدج (الدكتور) : ٦٦
ساكرامنتو (نهر) : ١٦
ساموا (قبيلة) : ٣١ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٨٦ ، ١٠٥
الساموريون : ٥٨
سبنسر : ٤٧ ، ١٣٤ ، ١٥٠
سبيل (إله) : ١٠٥
سترابو : ٩٧
ستل (خليج) : ١٦١
سِتُن كار (عالم أثري) : ١٦١
ستونهنج : ١٧٦
سكولكرافت : ٨٥
سكيت (مؤلف) : ١٢٥
سليمان (جزر) : ٦٢
سلين (إله عند اليونان) : ١٠١
سمنر : ٣٣ ، ٤٤
السنغال : ٧٧
سنكا (هنود) : ٥٩
سوزا : ١٨١
سوفت : ٢١
سولتري (عصر حجري) : ١٦٠
سومر : ١٨١
سومطره : ٤٠ ، ١١١ ، ١٧٠
السويوت (قبيلة) : ٧٩
سيلان : ٢٦ ، ٤٠ ، ٨١ ، ٩٨

(ش)

شليمان : ١٥٤
شمبوليون : ١٥٤ ، ١٥٥
شنيدر : ١٧٦
شيلي (عصر حجري) : ١٥٩

(ص)

الصومال : ٧٥ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٦١
الصين : ٧٥ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٦

(ط)

طوطم : ٤٠ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٣١

(غ)

عزى : ١١٨
عيلام : ١٧٩ ، ١٨٢

(غ)

غانة الجديدة : ٢٨ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٤٣ ، ١٧٠
غالا (قبيلة) ١٠٧ ، ١٤٧

(ف)

فاجز : ١٠١
الفال (قبيلة) : ١٠٤
فرانسز جولتن (سير) : ٦٨
الفراعنة : ٧٣
فرانكلين : ٢٣
فربيا (إلهة) : ١٠٥
فرويد : ١٠٧ ، ١٥٠
فريزر : ١١٦ ، ١٦٦
فضلات المطبخ : ١٦٩ ، ١٧٤
الفلاته (قبيلة) : ١٤٤
فلسطين : ١٦٢
فلورنسة : ٤ ، ٦
فنزويلا : ١٧٠
فنلندة : ١٧٩
فوتونا : ٦٧ ، ٩٢
فولتير : ١
الفويجيون (قبيلة) : ١٨ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ، ١٤٦
فيجى : ٦٢ ، ٦٣
الفيداويون (قبيلة) ٢٦ ، ٤٠ ، ٩٨

(ق)

قرطاجنة : ٤ ، ١١٤ ، ١٥٤
قيصر : ٦٩

(ك)

كابتول : ١٥
الكاربيون (قبيلة) : ٩٥
كارتييه (مؤلف) : ١٣٨
كارفر (كابتن) : ٣٢
كارولينا (جزيرة) : ١١٤ ، ١٣١
كالدونيا الجديدة : ٦٣ ، ١٣٢ ، ١٤٣
كاليفورنيا : ٥٠ ، ٨٥
كامبل ديمولان : ٤٤
كامبيتانا (إله عند أهل بريطانيا الجديدة) ١٠٠
الكامرون : ٩٨ ، ١٨٢
كامشادال : ٨٠ ، ٨٨
كاييه : ٧٧
كبلر : ١٠٣
كرو (قبيلة) : ٧٥
كرو — مانيون : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧
كريج (مؤلف) : ١١٣
كريت : ١٦٧
كريسوستم (قديس) : ٣٣
الكفير (قبيلة) : ٦٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٧
كمبرى (قبيلة) : ١٤٦
كنغو : ١١٢ ، ١٤٧
الكوبيون : ٤٠ :
كورفوفا (إله عند أهل بريطانيا) : ١٠٠
كوك (كابتن) : ١١٤ ، ١٤٦ ، ١٨١
كولمبس : ٧٥ ، ١٨١
كولومبيا : ٢٦ :

كولين : ٩١
كوكى (قبيلة) : ١١٥
كوروان (الكتابة الصينية) : ١٣١
كونكوستادورس : ١٧

(ل)

لاتين (فى سويسرا) : ١٨١
لاندر : ٧٦
لاوتسى : ١٣١
لپير : ٧٤
لترنو : ٦٩
لستر وورد : ٤٤
لفنجستون : ٨٢
لمنوس (جزيرة) : ١٦٤
اللنجوا (قبيلة) : ٨٨
لوبو : ٦٧
لوسكيل (رحالة) : ٣٣
لوسل (فى فرنسا) : ١٦٧
لوكر يشس : ٩٩
لوى بجوان (عالم أثرى) : ١٦٧
لويس مورجان : ١٢٤
ليريا : ٣٢

(م)

مادزيل (فى فرنسا) : ١٦٩
ماراسيبو (بحيرة) : ١٧٠
مارسلينودىسنولا : ١٦٥
ماركاس : ٤٨
ماسون : ١٣١
ماركوبولو : ٦٩
مافوى (إله) : ١٠٥
الماكوزى (قبيلة) : ١١٩
مالينوڤسكى : ٥٧
مانا (فى أساسير بولينزيا) : ١١٠
ماورى (قبيلة) : ٧٥ ، ٨٧
مايلتا (معبد) : ٦٧
مجدلى (عصر حجرى) : ١٦١ ، ١٧٤
مجلس السبعة (عند هنود أو ماها) : ٤١
مدغشقر : ١٦ ، ٨٨
مرى (جزائر) ٨٠
مرى (نهر) : ٦٠
مصر القديمة : ٨٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٦٧
المكسيك : ١٧
ملبار : ٨٠
مُلُخ : ١١٤
ملقا : ٦٨ ، ١٠٤
ممفيس : ٦
منحوپارك (رحالة) : ١٤٢
منشوريا : ١٦٩
المنغوليون : ١٠٤ ، ١٦١
الموت الأسود : ٧
موربهان : ١٧٦
موسى : ٥١ ، ٥٣ ، ٦٤
موسولينى : ١١٨
موستيرى (عصر حجرى) : ١٦٠ ، ١٦١
مونتينى : ٢١
موهنجو دارو : ١٥٤
ميلانيزيا : ٢٠ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٧٥ ، ١٤٣
مينوس : ١٥٤
ميكرونيريا : ٥٨

(ن)

نابليون : ١١٨ ، ١٥٤
نبراسكا : ١٦٢
نياندرتال : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٩٢ ، ١٦١
نيتشه : ٤٤
نيجريا : ٨٠ ، ١٢٦ ، ١٤٣
نينوى : ٤ ، ٢٦

نيويورك : ١٣٦

(هـ)

هانوفر الجديدة : ١٤٣
هيردين الجديدة : ٦٢
هرمان ملفيل : ٤٨
الهملايا : ١٥٦
الهند : ٦٢ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٢٠٤ ، ١٠٦ ، ١٦١ ، ٢٥٩
الهنود الأمريكيون : ٤ ، ١١ ، ١٧ ، ١٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٢٤ ، ١٤٣
هواى : ٦٧
الهوتنتبون : ١١ ، ٣٢ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥
هولستات (فى النمسا) : ١٨١
هومر : ١٠٨
هيدلبرج : ١٥٧
هيروغليفى : ١٣١ ، ١٣٢
هيرى (آلهة) : ١٠٨

(و)

وابونيا (قبيلة) : ١٤٧
وتمن (كاتب أمريكى) : ١٢٣
وودوورد (عالم أثرى) : ١٥٧
ويلز الجديدة : ٢٦

(ى)

يابان : ٦ ، ٧٥ ، ٩٣ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٣١ ، ١٦٨ ، ١٦٩
باريبا : ٧٦
ياقوت (قبيلة فى سيبريا) : ٦٨ ، ٩١ ، ١٧٩
يعقوب : ٧٤
يوانتروپس : ١٥٧
يوپانشاد : ١٠٠
يوغندا : ٨٠
يوقطان : ٦ ، ١٥٤